(4198)
ف - 124

الدين والشهادة

وما يجب على المسلمين معرفته عن :

الدين — التوحيد — المحمديات

مع عرض لآراء كبار رجال الدين والأدب
بمصر والحجاز قديما وحديثا

وضع واختيار

الحاج عباس كراره

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ريالين سعودي بمكة
١٥ قرش بمصر

يطلب من المكاتب الشهيرة بمصر ومكة والمدينة وغيرها الموضحة بآخر الكتاب

Marfat.com

Marfat.com

(4198)

الدين والشهادة

وما يجب على المسلمين معرفته عن :

مع عرض لآراء كبار رجال الدين والأدب بمصر والحجاز قديما وحديثا

وضع واختيار

الحاج عباس كرارة

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ريالين سعودي بمكة
١٥ قرش بمصر

" من المكاتب الشهيرة بمصر ومكة والمدينة وغيرها الموضحة بآخر الكتاب

Marfat.com

87407

87407

Marfat.com

قل

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

Marfat.com

Marfat.com

إهداء الكتاب

لكل مسلم ومسلمة

إلى الذين يبتغون وجه الحق ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويعبدون ربهم على بصيرة فى دينهم .

أتشرف بإهداء كتابى هذا

راجياً من الله تعالى حسن القبول .

عباس كراره

Marfat.com

الغرض الذى نتوخاه فى مؤلفاتنا

(١) نشر الثقافة الإسلامية بين أبناء الأمم الإسلامية .

(٢) تبسيط الأحكام الشرعية ، وعرضها بأسلوب سهل جذاب .

(٣) الدفاع عن عقيدة التوحيد بكل ماأوتينا من قوة .

(٤) تشويق الناشئة الإسلامية إلى أسرار الرسالة المحمدية وبيان ما اشتملت عليه من خير وجمال كفيلين بإسعاد البشرية عن بكرة أبيها .

(٥) محاربة البدع المجافية لروح الإسلام .

(٦) الدعوة إلى الفضيلة وبثها فى نفوس أفراد الأمم .

(٧) تثقيف الفتاة وإعدادها للأمومة الطيبة ..

(٨) تعبيد سبيل السعادة للمسلمين فى تمسكهم بدينهم الحنيف .

تطبع وتباع هذه الكتب بتكاليفها الأصلية

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الموحدين وبعد :

فإن توحيد الله سبحانه وتعالى أصل العبادات ، ومصدر الهدايات والمميز بين المؤمن والمشرك .

وأن أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه دعوة الناس إلى توحيد ربّ العالمين وإرشادهم إلى الدين القويم ، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه :

« لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » .

وقد وفقنى الله تعالى إلى وضع مؤلف أسميته (الدين والشهادة) وهو يحتوى على أقسام ثلاثة :

الأول فى الدين ، والثانى فى التوحيد ، والثالث فى الرسالة المحمدية ، وقد راعيت فى كتابى هذا سهولة الأسلوب ، وعدم التطويل ، ولزيادة الانتفاع به وحب الخير ، رأيت أن أدون كل مقال نافع ، وبحث مفيد

Marfat.com

ورأى صائب بما دبجته أقلام كبار رجال الدين والأدب فى مصر والحجاز قديماً وحديثاً .

وإنى أحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، أن يسر لى فضلا منه وكرماً ، العمل على خدمة هذا الدين الحنيف ، وسلك بى مسلك الداعين إلى الخير والهادين إلى الرشاد ، فوفقنى سبحانه وتعالى لإخراج هذا الكتاب المبارك ، الذى جاء بحمد الله تحفة نادرة المثال ، كما وفقنى سبحانه وتعالى لإخراج أخويه من قبله ، وهما : كتاب الدين والصلاة ، وكتاب الدين والحج على المذاهب الأربعة . وقد قرّظته مشيخة الأزهر الجليلة . وقد عمّ نفعهما وعظم عند الناس موقعهما .

وأرجو الله أن أكون قد وفقت فيما قصدت فإن أصبت فالفضل لله وحده ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

عباس كراره

القاهرة شبرا شارع الكرجى ٢٤
مكة المكرمة شارع المسعى

Marfat.com

تمهيد

إن العاقل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ، ينبغى له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ؛ ويجعله مثالا يحتذيه . فإذا لم يفعل ذلك ، كان مثله كالرجل الذى زعموا أن سارقا تسور عليه وهو نائم فى منزله. فعلم به فقال: والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ، ولا أذعره ، ولا أعلمه أنى قد علمت به ، فإذا بلغ مراده قمت إليه ، فنغصت عليه أمره . ثم إنه أمسك عنه . وجعل السارق يجمع كل ما وصلت إليه يده حتى جمع كل ما فى البيت من متاع ؛ وغلب الرجل النعاس فنام ، وفرغ اللص مما أراد ، وأمكنه الذهاب . واستيقظ الرجل ، فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به . فأقبل على نفسه يلومها . وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص ، إذ لم يستعمل فى أمره ما يجب .

فالعلم لا يتم إلا بالعمل ، وهو كالشجرة ، والعمل به كالثمرة . وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به ؛ وإن لم يستعمل ما يعمل لا يسمى عالماً . ولو أن رجلا كان عالماً بطريق مخوف ، ثم سلكه على علم به ، سمى جاهلا ؛ ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاها ، من ذلك السالك فى الطريق المخوف الذى قد جهله . ومن ركب هواه ورفض ما ينبغى أن يعمل بما جربه هو أو أعلمه به غيره ، كان كالمريض العالم بردىء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله . ثم يحمله الشره على أكل رديئه ، وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علته .

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله ، نستعينه ونستهديه ، ونتوب إليه ، ونستغفره . نشكره ولا نكفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلامضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً ، بين يدى الساعة . فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته . وجازه عنا أفضل ما جازيت نبياً عن أمته (أما بعد) فقد أراد أخى الحاج عباس كرارة من زمن غير قريب وضع كتاب الدين والشهادة يشتمل على تحديد الدين ، وأركانه ، وشعبه ، ومايلزم أن يكون عليه المرء حتى يكون ذا دين يعرف قدره ، ويذب عنه ، ويحمى حماه ، ويشتمل على الشهادة ، وما يتعلق بها من توحيد كامل يخلو فيه قلب المؤمن من كل شىء إلا من ربه ، يفرده بالقصد والطلب ، ويتوجه إليه فى

Marfat.com

شدته ، ورخائه ، ويعرف أن كل ما سواه مقهور مربوب له ، وبهذا يعرفه حق المعرفة ، ويعبده حق العبادة ، ويشتمل على الشهادة الثانية وهى الشهادة لمحمد بالرسالة التى لا يصح للمسلم إسلام ، ولا دين إلا إن جعلها طريقه ، ونوره ، وهاديه ، حتى يكون فى اتباعه على بصيرة ، وفى دعوته إلى هذا الدين على بينة .

وقد حدثنى أخى الحاج عباس بما اعتزم أن يقوم به حيال هذا الكتاب المراد تأليفه ، وأطلعنى على كتابة من فصول فى هذا الكتاب وعرض على معاونته ، فكتبت بعض الموضوعات ومراجعة ما حرره هو بنفسه أو اختاره من مقالات الكتاب المشهورين ، فاستخرت الله تبارك وتعالى فى ذلك فكانت الخيرة ، ورأيت إجابته إلى ماطلب، لأن ذلك من التعاون على البر والتقوى ، وكتبت بعون الله وحده ما كتبت وراجعت ما راجعت وأحمد الله تبارك وتعالى على ما أنعم ووفق إذا لم يكن، فيما كتبت ، ولا فيما راجعت شىء مكذوب ، ولا شىء ضعيف ولا ما يجافى سنة النبى صلى الله عليه وسلم بحال ، وأحمد الله أيضاً إذ وفق فجعل من هذا حجة قائمة ، وسلطاناً بيناً ، يناهض الشر والباطل ، ويشد أزر الحق ، ويدعو إلى الصراط المستقيم .

وبهذا يكون ذلك الكتاب فريداً فى بابه ، وحيداً فى اتجاهه من بين ما كتب فى هذا العصر الحديث .

Marfat.com

وأشكر لأخى الحاج عباس كرارة حسن ظنه بى ونشاطه المتابَع فى إخراج الكتاب تلو الكتاب وعمله دائباً لا يثنيه عن عزمه نصب ولا إرهاق، مع تجنب الزلل والتوفيق. وإصابة وجه الحق والصواب من أقرب طريق، غير مبال بما يلقاه من متاعب جسيمة ونفقات مادية، ولا بما يضيع من وقت غال ونفيس لوجه الله والعلم ولنفع المسلمين، كما أحمد له تواضعه لعرضه كل مؤلفاته قبل الطبع وبعده على ثقات العلماء زيادة فى تحرى الصواب، وحتى يمسك بزمام الصالحات من الكلمات، والموضوعات، وقد قرأت بعض ما كتب وجمع فأعجبنى منه الكثير، ورجوت الله أن يساعده ويشد عضده، إنه ولى الهداية والتوفيق ؟

أحمد أحمد القط

الواعظ العام بالقطر المصري
ومندوب الأزهر للتدريس بكلية الشريعة
والحرم الشريف بمكة

٢٠ من رجب سنة ١٣٧١
١٥ من أبريل سنه ١٩٥٢

Marfat.com

القسم الأول

دین

Marfat.com

ما هُوَ الدين؟

إن لفظة دين قديمة جداً كقدم مسماها وشائعة بين كل الطوائف البشرية سواء حاضرها وباديها وحشيها ومتمدنها ، ولكنهم لم يدركوا معناها على الوجه الحقيق الذى جاءت به الشرائع الإلهية ، والذى ينطبق على رحمة الخالق وعنايته . ومن يتدبر التاريخ يرى الشعوب المختلفة قد تطورت أطواراً كثيرة فى فهم معنى هذه الكلمة على حسب تطور العقل البشرى فى فهم المعقولات .

كان الأقدمون لا يعرفون الدين إلا أنه مجموع احتفالات عمومية تضحى فيها الحيوانات أو أسرى الحروب إرضاءاً لمعبوداتهم وتسكيناً لغضبهم . ثم لما ترقت المدارك الإنسانية ونمت فيها الغريزة العقلية بطرو العلوم والفنون أخذ معنى الدين ينجلى شيئاً فشيئاً ويقرب رويداً رويداً من المعنى المراد لله ، والذى جاءت الأديان تأمر الناس بفهمه كذلك .

نحن هنا قبل أن نتكلم على ماهية الدين بالمعنى المراد للإسلام يجب علينا أولا أن نتكلم على ما يفهمه علماء أوربا من هذه اللفظة ، بعد أن فحصوا العلوم فحصاً وأوسعوا الكون بحثاً عن نواميسه وتنقيباً عن قوانينه لنجعل هذا من بعض الأدلة الحسية على نظريتنا من أن كل خطوة يخطوها العالم فى سبيل فهم الحقائق هى تقرب ظاهر إلى الإسلام فنقول: إن علماء أوربا بعد أن دخلوا فى كل دور يمكن أن يدخله الإنسان

Marfat.com

المعرض لكل أصناف الفتن العلمية (ومن يطالع تاريخ العلم من أول سقراط للآن يرى العجب) عادوا الآن حيث الهدوء شامل وبدر العلوم كامل فاعترفوا عن بينة بأن لهذا الكون خالقاً قادراً حكيما متصفاً بكل صفات الكمال ومنزهاً عن أقل مايشعر بالنقص . وأنه جل سلطانه وضع الكون على نظام مخصوص يستطيع من ينظر إليه بروية أن يستنتج منه تلك الصفات العليا استنتاجاً محسوساً ، وأن يتعلم منه أموراً يغنى الجرى عليها مع قلتها وسهولة فهمها عن ألوف القواعد والتعاليم التى كانت تلقى على الناس فيحنون رؤوسهم خضوعاً لها ، ولكن على غير فهم لحكمتها ونتائجها . ثم رأوا بالاستقراء لنظام الكون ونواميسه أن الخالق جل شأنه يتعالى علواً كبيراً عن الاحتياج لكائن من صنع يده بل هو غنى بذاته عن كل ما عداه . ثم قالوا إن غناه هذا لم يمنعه عن الاهتمام بمخلوقاته اهتماماً يدل على عظيم رحمته وسعة رأفته وأقل نظرة فى الوجود تدل على صدق هذه النظرية دلالة حسية .

أنظر إلى أصناف النباتات والحيوانات من أدناها إلى أعلاها ترى آثار هذه المرحمة الكبرى تتجلى للإنسان تجلياً يبعثه رغم أنفه إلى محبة ذلك الخالق العظيم ، فإنه جل سلطانه لم يترك كائناً من الكائنات إلا ووهب له ما يقيم له أود حياته ويحفظ بقاءه ، وما يدفع عنه البوائق والجوائح ، إلا ما يستلزمه نظام الكون ويكون فى حصوله أثر مرحمة أسمى ورأفة أعلى بمجموع هذا الوجود . ثم إن إلهاً هذا شأنه لايحمل الإنسان

Marfat.com

من العبادة إلا مافيه حكمة بالغة وفائدة عظمى لذات الشخص وبنى نوعه وسائر أجزاء الطبيعة . لأن مجرد التدبر فى جميع أنواع الكائنات يدلنا دلالة واضحة على أن خالقها لم يخلقها وهو مريد إفسادها وملاشاتها بل خلقها وأراد إصلاحها وبقاءها ، ومما يدل على ذلك إيداعه فيها القابلية للترقى والتدرج لدرجة حددت فى سابق علمه . ولما كان الإنسان لا يفترق فى النسبة إلى الله عن سائر الكائنات الأخرى بل يزيد عليها فى كونه نهاية الإبداع وغاية الاختراع فيكون بالأولى خاضعاً لناموس الرقى والتدرج وقابلا له أكثر من سواه .

هذا هو الواقع فإن من يتأمل فى مبلغ الرقى الذى حصله الإنسان من أول نشأته إلى الآن يتحقق أن الخالق جل جلاله وهبه من الخصائص مايستمر به ترقيه وتدرجه إلى نقطة لم يصل إليها الفكر البشرى الآن . ثم قالوا وبما أن أفعال الله مجردة عن البحث والتناقض فيجب أن تكون تلك العبادة المرغوبة لله تعالى موافقة للنواميس الثابتة السائدة فى الكون كله وملائمة للأميال والإحساسات المغروسة فى جبلة النوع الإنسانى . فاستناداً على هذه البداية العلمية التى لا يصح الامتراء فيها بنى طائفة عظيمة من علماء أوربا ديانتهم الطبيعية ، وإليك ما قاله فى هذا الموضوع أحد نصرائها وهو الفيلسوف الشهير (جول سيمون) قال : « إنا نؤدى فى أثناء هذه الحياة الواجب الذى رسمه الله تعالى لنا تحت رعايته وعنايته وعند ما ينتهى بقاؤنا فهو إما أن يثيبنا أو يعاقبنا » ثم ذكر الأسباب التى

Marfat.com

تقتضى الإثابة والعقوبة فقال : « أما الأمر الذى يقتضى المثوبة الحسنة فهو طاعة الإنسان لقانونه الخاص وعمله للخير . أما قانون الإنسان الخاص فهو حفظ ذاته وترقية خصائصه المودعة فيه . ثم هى محبة وخدمة إخوانه ، ومحبة وعبادة خالق ذاته . ولكن ما هى الطريقة التى يعبد بها الإنسان ربه ؟ إن أداء الواجب وعمل الخير هو عين العبادة والحب ، والعمل والإخلاص هى نفس العبادة ونفس الصلاة ، والإخلاص للوطن هو عين خدمة الله تعالى . هذه هى الدنيا الطبيعية ، وهذه هى العبادة الطبيعية . كل أصول مذهبنا هذا واضحة لا رموز فيها . أما أصوله فهى الاعتقاد بوجود إله قادر على كل شىء ولا يغيره شىء . خلق العوالم وحكمها بقوانين ونواميس عامة ، ووجود حياة أخرى تؤدى لنا كل وعود هذه الحياة وتكافىء الظالم بالجزاء الأوفى . هذا هو اعتقادنا . فأما صلاتنا فهى أن يكون قلبنا مملوءاً بمحبة الله تعالى ومحبة الإنسان ، وأن تكون لنا إرادة ثابتة فى أداء الواجب وخدمة إرادة الله تعالى بعمل الخير والبر » .

وهنا نستدرك فنقول : إن أصحاب هذه الديانة لا يكرهون العبادة الجسمية مطلقاً كما يؤخذ ذلك من كلام (جول سيمون) المشار إليه . إلا أنهم فقط لا يحتفلون بعبادة جسمية لا يكون من نتيجتها فائدة أدبية تذكر ، فهم يريدون أن تكون معتبرة وسائل لإحياء القلوب وتطهيرها من أدناسها لا أغراضاً قائمة بنفسها مجردة عن كل غاية . قال

Marfat.com

(كانت) الفيلسوف الطائر الصيت : « العبادة الخارجية لا تكون رديئة إلا إذا اعتبرت أغراضاً لا وسائل . وهى يمكن أن تكون نافعة مفيدة إذا لم تعتبر إلا وسيلة لإيقاظ وتقوية العواطف الفاضلة فى النفس البشرية».

أما نحن فنلخص من كل هذه الأقاويل أربعة أمور مهمة هى مذهب علماء أوربا فى الدين وهى : (أولا) الاعتقاد بأن الله غنى عنا وعن أعمالنا وأن ما نعمله من الخير لا نتيجة له إلا منفعتنا الخاصة . (ثانياً) أن الله تعالى رحيم بالإنسان ويود صلاحه ولا يكلفه بالعبادة إلا لفائدة نفسه (ثالثاً) أن العبادة يجب أن تنطبق على النواميس الثابتة للحياة وتلائم الطبيعة البشرية لا أن تعارضها وتسعى فى ملاشاتها . (رابعاً) العبادة الجسمية يجب أن تعتبر وسائل لتطهير النفوس وتهذيبها لا أغراضاً مطلوبة لذاتها .

نقول إن هذه الأربعة الأمور التى لم يبلغها العقل البشرى إلا بعد أن شابت ناصية الكرة الأرضية وجعلت علماء القرن التاسع عشر يتيهون بها عجباً ويميلون طرباً ليست هى إلا شعاعاً من الديانة الإسلامية وقطرة من بحرها الزاخر . ونحن لأجل زيادة الإقناع نأتى هنا على النصوص الشريفة التى تنطبق على هذه الأمور الأربعة مرتبة على حسبها فنقول :

(أولا) قال تعالى : « وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » . (ثانياً) قال الله تعالى : « يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

Marfat.com

الْعُسْرَ » وقال تعالى : « مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » . (ثالثاً) قال تعالى « لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا » وقال تعالى : « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْكُمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ » وقال تعالى « يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً » . (رابعاً) قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْداً » وقال عليه الصلاة والسلام : « كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » .

هذه هى عقيدتنا فى فهم الدين . وقد رأيت أنها مطابقة للعقل والعلم تمام الانطباق ومتفقة مع النواميس الثابتة كمال الاتفاق . ولما كانت مطاعن علماء أوربا على الأديان لم تتوجه إليها غالباً إلا من هذه الوجهة الرئيسية التى ينبنى عليها سائر قواعد الدين ، فقد حق لنا أن ننادى بأعلى صوتنا : إن الإسلام أعلى وأسمى من أن يناله سهم من سهام ذلك التنديد الشائن ، وأكبر وأجل من أن يلحقه طعن الطاعن .

هذه الأربعة القواعد يعتبرها علماء الديانة الطبيعية أركاناً تنبنى عليها كل قاعدة قانونية يكون فى العمل بها تقدم الإنسان إلى النقطة الكمالية

Marfat.com

التى أعد هذا النوع لبلوغها . ولما كان العلم هو المنوط إجماعاً بتحسس تلك القواعد المرقيـة للإنسانية فهم يعتبرون كل قاعدة يتوصل إليها من هذا القبيل كأنها قاعدة دينية ، فى الجرى على سنتها رضاء الخـالق والقيام بطاعته .

أما المرويات القديمة ، والأساطير التى مضى عليها ألوف من السنين مع ما استلزمتها من قواعد الدين فقد صدفوا عنها وهجروها هجراً كلياً . قال (كانت) : « الديانة الحقيقية الوحيدة لاتحتوى إلا على قوانين أعنى قواعد قابلة للتطبيق ؛ نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة وتـكون مجردة عن الأساطير والتعاليم الـكهنوتية » كأن (كانت) يريد أن يذكر المسلمين بقوله تعالى : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

Marfat.com

الدين

الدين هو ذلك النور المبين والهدى الحكيم الذى أكرم الله به العالم من أول ما خلق الدنيا إلى أن تقوم الساعة ، وقد شهدت به الفطر ونطقت به الكتب ودلت شواهد الأعمال على أن لا حياة لأمة بغير دين . وقد حدثنا التاريخ أنه ما من أمة تخلت عن دينها ورسل ربها فلم تمض عليها القرون الكثيرة حتى عمتها الفوضى وشملتها وتخبطت فى دياجير مهلكة ، وكان من تقدمها المزعوم معاول قضت بها على حياتها فأصبحت كأن لم تغن بالأمس . وفى التاريخ القديم والحديث صور رائعة دلت على ذلك ، فهؤلاء المسلمون كانوا قلة بالنسبة إلى غيرهم من الأمم ولكن هذه القلة تعرف ربها ودينها لا تحيد عنه فى قليل ولا كثير ، ولهذا دوخت العالم وكسرت شوكة القياصرة والأكاسرة وفتحت الفتوحات حتى كانت فتوحاتها فى قرن واحد لا تتيسر فى قرون لغيرها من الأمم التى هى أوفر منها مالا وأكثر عدداً وأقوى استعداداً ، ولا غرابة فى أن ينتشر الدين على هذا الانتشار العجيب فى أقل من قرن بصورة لم تعرف بعد دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا الدين هو الذى يجعل من الضعف قوة من القلة ما يغلب الكثرة ويفوقها كما قال الحق جل شأنه « يا أيُّها النَّبىُّ

Marfat.com

حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً . فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

فتأمل رعاني الله وإياك كيف جعل الله الغلبة على الكفار والظفر بهم والسلطان للمسلمين والأولوية لهم ، لأن هؤلاء المسلمين وإن كانوا قليلي العدد إلا أنهم صابرون عاملون متمسكون متدينون ، لا يزيدهم التألب عليهم إلا إيماناً وتثبيتاً . وهذا هو الذى يجعلهم فى قلة عددهم وعتادهم أقوى من خصومهم . وفى هذا يقول الله جل شأنه :

« الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم »

* * *

وفى التاريخ الحديث شواهد على ذلك فها هى ذى فرنسا التى

87407 ~~64407~~

Marfat.com

عرفت بالعلوم والمعارف والمخترعات لم تستطع الوقوف فى وجه ألمانيا إلا أقل من شهر ثم انهزمت هزيمة منكرة ، ولم تكن أسباب الهزيمة إلا لانصرافها عن الدين وإخلادها إلى الشهوات ، ولم نكن متجنين عليها فى ذلك الحكم وإنما هى كلمة حاكمها العام فى ذلك وقائدها الذى تولى أمرها بعد هزيمتها وانتشلها من وهدتها .

ولقد انصرف المسلمون عن دينهم فأصبحوا أذلة بين الأمم ضعفاء لا يقام لهم وزن ، ولا أدل على ذلك شرذمة من سفلة العالم ضرب الله عليها الذلة والمسكنة ومسخ أجدادها قردة وخنازير تكاد تتغلب تلك الشرذمة التى لا وطن لها ولا دولة على دول الإسلام مجتمعة ، وهذا هو مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » وكم دعا المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ دعا خيارهم وأمن خيارهم ولكن الله لم يستجب لهم ، بل تغلب هؤلاء الأشرار والأسافل عليها. ونحن نرجو أن يثوب المسلمون إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربهم حتى يكرمهم بالنصر العاجل ، ويحق الحق ويقطع دابر الكافرين ، ولولا الدين ما كان الإنسان إنساناً وإنما كان كعهده الأول بدائياً يعيش كما يعيش الحيوان ، فالدين هو الذى أشرق على إنسانيته فنماها وكملها

Marfat.com

وزكاها ، فعرفت به الحلال ، والحرام ، والخير ، والشر ، والحق ، والباطل ، والهدى ، والضلال ، والحسن ، والقبيح ، والنافع ، والضار.

عرف به الإنسان ما يحفظ نفسه ، وعرضه ، وماله ، وما يحفظ به شرفه وشرف أمته .

عرف به كيف يعامل ربه ، ويعامل الناس ، وكيف يقوى أواصر بيته بينه وبين زوجه وأولاده ، وكيف يربط بين الأفراد والجماعات والأمم برباط المحبة والوئام «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وكونوا عباد الله إخواناً» ، «لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» ، «اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً فاتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام». (المومن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وبالجملة فالناس بغير هذا الدين لا يستقيم لهم أمر ، ولا يكون لهم وجود يذكر ، وبهذا تفكر العقول المستقلة الحرة حقاً فى الأمم التى أعلنت بعدها عن الدين فى وجوب العودة إلى تعاليم الدين ، وإلا فلا ينتظر الناس إلا أوخم العواقب فى شر مصير .

Marfat.com

من أى شئ يؤخذ الدين

إن دين الله الذى رضيه لعباده لا يمكن أن يؤخذ إلا من منبعه الأصلى الذى ضمن الله له العصمة ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما الكتاب الكريم فقد قال الله فيه : « وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ » وَقَالَ « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » وقال « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ونهى الخلق عن اتباع غيره ، فقال « وَاتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا

Marfat.com

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ » ويبين الله أن الذين يتبعون هذا الكتاب ويسيرون على منهاجه وينظمون حياتهم وشئونهم على هديه وبنوره هم المبشرون النافعون المهتدون العقلاء الخليقون باسم أصحاب العقول السليمة قال الله « فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابْ » ذلك لأنهم يفتحون آذانهم وأعينهم وقلوبهم لوحى القرآن ونوره فلا يسمعون إلا به ولا يبصرون إلا به ولا يفكرون إلا على مقتضاه ، قال الله تعالى « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » وإذا كان يوم القيامة اعترف الكفار بهذه الحقيقة المرة حيث لا ينفع الندم ولا يفيد الاعتراف بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير . « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير » .

هذه هى شهادة الكافرين على أنفسهم ولعلها أبلغ فى بابها من شهادة غيرهم عليهم ، بل هى أبلغ ألف مرة ، والإمام على كرم الله وجهه يقول (لشد ما شهد أمرؤ على نفسه) .

ويبين النبى صلى الله عليه وسلم أن الفتن ستضرب بكلكلها

Marfat.com

هذه الأمة، فهى حكمة جامعة تشمل الفتنة فى الدين والدنيا من سياسية واجتماعيـة واقتصادية فى محيط الأمة وداخلها أو فى محيطها الدولى الخارجى، وبين أنه لامخلص ولا نجـاة ولا سـلامة من هذه الفتن إلا بالرجوع إلى كتاب الله الذى أنزله رحمة وبشرى كما قال « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ». يقول المعصوم صلى الله عليه وسلم فى هذه الفتن والمخرج منها « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ قِيلَ فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يا رسول الله قال كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِى لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَزِلُّ بِهِ الْأَلْسُنُ وَلَا تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

وأما سنة النبى صلى الله عليه وسلم فحسبنا من ذلك أن الله أمرنا الاستماع إليها والعمل بها قال جل شأنه « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما

Marfat.com

نهاكم عنه فانتهوا » وجعل طاعته من طاعة الله فقال (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) وجعل اتباعه الأمارة الصادقة على حب العبد لربه وبذلك يكون العبد أهلا لأن يحبه ربه ، قال الحق تبارك وتعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . ويبين الله أن الخروج عن أمر هذا الرسول الكريم باب إذا فتح على عبد أو أمة فتحت معه أبواب الفتن التى لا مهرب منها ولا مفر وكان من ورائها العذاب الأليم .

والعنوان الصادق للذين يرجون الله واليوم الآخر إنما هو التأسى بهذا الرسول الصادق المصدق ، والتأدب بآدابه ، والتخلق بأخلاقه ، ولهذا يقول الله « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

ويعجبنى فى ذلك قول هذا النبى الطاهر الكامل صلى الله عليه وسلم « لقد تركت فيكم ما لو تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وسنتى »

وبهذه المناسبة يجب أن تنتبه إلى مسألة هامة ربما خطرت ببال القارىء وهى تقليد المذاهب واتباع السابقين بإحسان من الأئمة الأربعة وغيرهم ، نحن لا ندعو إلى الخروج عنهم ، ولا إلى الاجتهاد لمن لم يكن أهلا له ، وقد سبقنا الأئمة رضوان الله عليهم فاجتهدوا واستنبطوا من كنوز السنة ما فيه خير للناس وسعادة لهم ، وقد ضمن الله الأجر للمجتهدين وجزاهم الله عن هذا الدين خير الجزاء .

Marfat.com

أركان الدين

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : « إن الدين عند الله الإسلام ، قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » . وقال رسول الله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

جاءت الشريعة الإسلامية السمحاء لتكوّن الأمة وتوحد صفوفها وتجمع شملها ، وتقوى رابطتها ، كما تكفلت بتهذيب الفرد ، وتطهير النفس ، والترفع عن الدنايا والدنس ، حيث قال تعالىٰ فى محكم كتابه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ».

والأمة الاسلامية لا يحويها صعيد واحد ، ولا يحصرها إقليم واحد فحسب ، بل هى تعمر مشارق الأرض ومغاربها ، فقال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

ولما كان رسول الله ﷺ هو الوصلة العظمى والعروة الوثقى بين العبد وربه ، كما جاء ذلك فى كتابه الكريم فى عدة مواضع ، وأمرنا

Marfat.com

أن نأتمر بأوامره ، ونتجنب نواهيه حيث قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ولقد كان رسول الله ﷺ عند حسن ظن ربه به ، حيث امتدحه تعالى فى القرآن الكريم فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم » ، فأمرنا ﷺ أن نتبع ما جاءت به الشريعة السمحاء كما قال له ربه عز وجل « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، وبين لنا فحوى هذه الرسالة العظيمة والأمانة القيمة التى نزلت عليه بطريق الوحى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » ، لذلك علمنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قواعد الدين الاسلامى الخمس وهى :

« شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

وسنشرح فرائض وسنن كل ركن من هذه الأركان الخمسة كل منها على حدة .

Marfat.com

Marfat.com

الركن الأول :

قال الله تعالى في كتابه الكريم

شهد الله أنه لا إله إلا هو

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

أخرج الشيخان عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

« بُنِيَ الإِسْلامُ على خَمْس : شَهَادَةُ أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، وإقام الصَّلاة ، وإيتاءِ الزَّكاة ، والحجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » وأول أركان الإسلام هى (الشهادة) فأولى قواعد الدين الإسلامى إعتقاد أنه لا إله إلا الله حقيق تجب عبادته ويصمد إليه فى قضاء الحوائج وتحصيل المهمات إلا الله رب العالمين الذى خلق كل شىء وقدره تقديراً ، وبيده وحده الأمر والتدبير وإليه المصير . وكذلك الاعتراف بأن سيدنا محمد رسول الله اختاره ربه واصطفاه من بين عباده وأرسله لهداية البشر على فترة من الرسل ، لإرشادهم لمصالحهم النافعة وإعانتهم على شؤون الحياة وتعريفهم بالوحدانية لله عز وجل ، وتقريرهم بالرسالة المحمدية إذ هما لا شك أساسان للاعتراف بالحقائق ومبدآن للهداية الحقة ، ولذلك بدأ بهما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فأقيموا الصلاة

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

Marfat.com

الركن الثانى :

وثانى قواعد الدين الصلاة ، وهى دعاء وابتهال وخشوع وامتثال وتوثيق لصلة العبد بربه فيفيض عليه من خيره ، وتطهر نفسه من أدران الماديات وشوائبها ، وتقوى على النهوض بأعباء الحياة وتكاليفها وتعوده الإخلاص، وتبعده عن النفاق ، وتبعث فيه الصحة والنشاط ، وتمرنه على أداء المأمورات فى مواعيدها المفروضة ، يقرأ المصلى فى الصلاة القرآن وقلبه خاشع وذهنه حاضر ، فيتعلم من علومه ويهتدى بهداه وتصفو نفسه ويستنير عقله ، ولهذا كانت الصلاة عنصراً أساسياً فى بناء الدين وَصَدَقَ اللهُ إذ يقول عز من قائل : « إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ».

Marfat.com

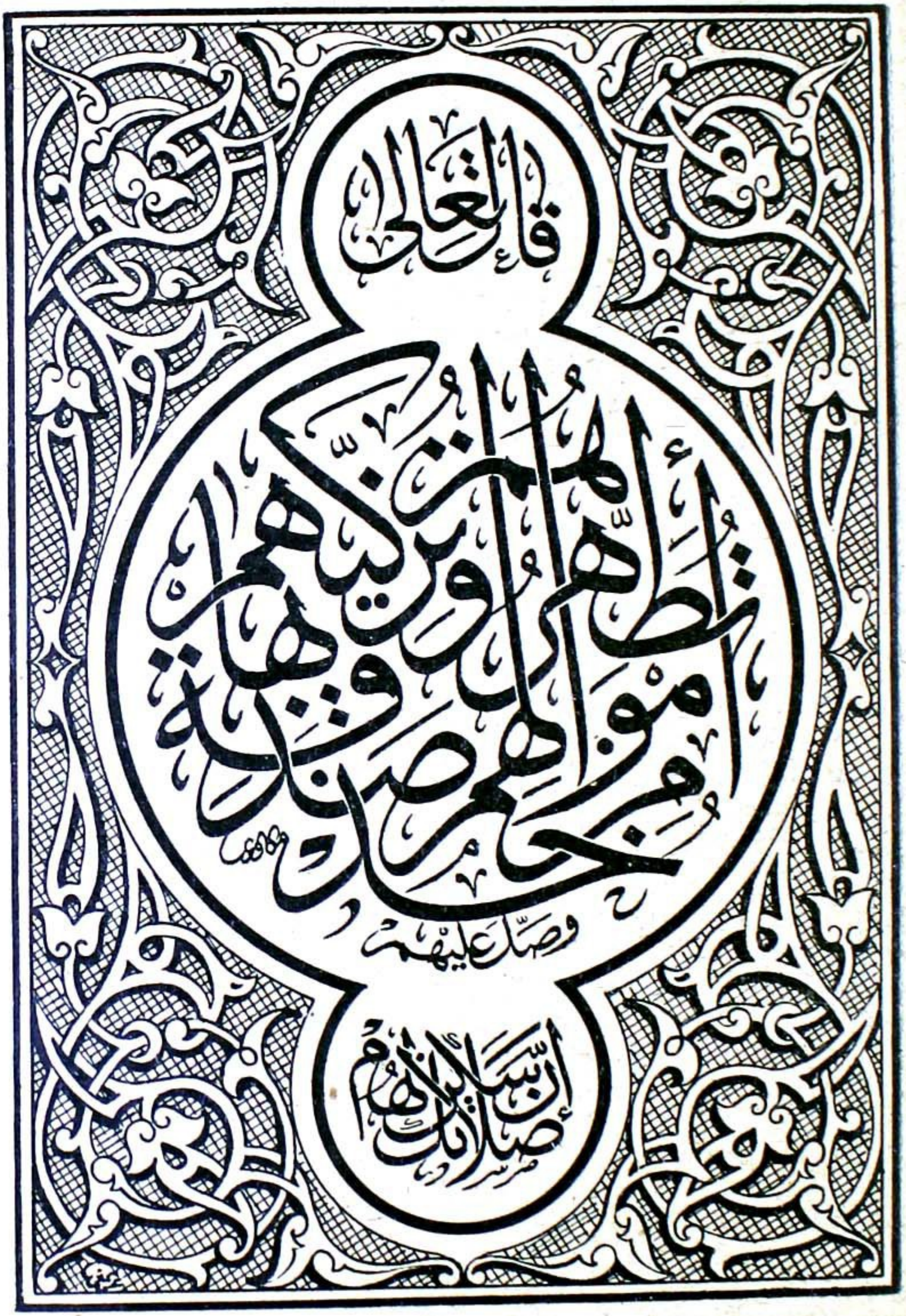

قال تعالى

خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها

وصل عليهم

إن صلاتك سكن لهم

Marfat.com

الركن الثالث :

قال الله تعالى فى كتابه الكريم

خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم

وثالث قواعد الدين : الزكاة : وهى قليل من مالك أيها المسلم ، زائد عن حاجتك تخرجه للفقراء والمساكين شرعت لتحرر به رقاب الأسرى والمعوزين وإغاثة المحتاجين وقضاء الدين عن المدينين ، وتأليف القلوب نحو هذا الدين دين الله المتين والاستعانة على نشر الدين وحفظ أهله ودياره بالجهاد فى سبيل الله ، وهى خير وسيلة لإصلاح المجتمع ونشر الرخاء ودفع الأضرار والمصائب التى تجتاح العمران وفيها طهارة وزكاة للأموال ونشر الحب بين الأغنياء والفقراء وبعد النفس عن ربقة البخل والشح ومطامع النفوس وتعلقها بمتاع الدنيا الفانى القليل .

وقد شرعت الزكاة فى السنة الثانية من الهجرة وهى واجبة على المسلمين الموسرين فذكرها مقترنة مع الصلاة فى كثير من آيات الذكر الحكيم تأكيداً لطلبها وتنويهاً بفضلها العظيم .

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
صدق الله العظيم

Marfat.com

الركن الرابع :

قال الله تعالى في كتابه العزيز

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات

ورابع قواعد الدين : صوم رمضان : يطهر المعدة مما علق بها من بقايا الطعام ويريحها من العمل عدة أيام وينمى فى نفسك الشعور بحال الفقراء والمساكين إذ به تذوق ألم الجوع والظما فتتذكر إخواناً لك بائسين تساعدهم بمعونتك وبرك وتذكى فيك روح التفكير ، إذ البطنة كما يقولون تذهب الفطنة ، وهو يذكرك بربك فى كل حين فتقرأ القرآن ولسانك رطب بذكره وأنت قائم بامتثال أمره .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً واحْتَساباً غُفرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِن عَبْدٍ يَصُومُ يَوماً فى سَبيلِ اللهِ إلَّا بَاعَدَ اللهُ بذلِكَ اليَوْمِ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ سَبْعِينَ خَرِيفاً » .

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا

صدق الله العظيم

Marfat.com

الركن الخامس :

قال تعالى في كتابه الحكيم

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

وخامس قواعد الدين : الحج إلى بيت الله الحرام : فتذهب إلى مكة البلد الأمين الذى نشأ فيه سيد العالمين ونبت فيه هذا الدين ، وترى أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، وتقوم بأعمال متنوعة كلها قربات من طواف وصلاة وسعى ووقوف بعرفات وذكر وتهليل وتكبير وتلبية وذبح قرابين وتصدق على المساكين فتهذب نفسك بالسفر وتذكر النشأة الأولى للإسلام ، والذكرى كما يقول الله تعالى تنفع المؤمنين . وتجتمع بإخوانك المسلمين عند بيت مولاك الذى دعاك وحباك وقربك وأدناك واختارك أن تكون أحد أفراد الوفد المتقبلين الذين وفدوا من كل حدب ينسلون وأتوا من كل فج من مشارق الأرض ومغاربها وتفكر معهم فيما يعيد للإسلام مجده ويعلى سلطانه وتقف مع إخوانك المسلمين .

تلك هى قواعد الدين أيها المسلم فاحرص عليها وأحسن . إن الله لايضيع أجر من أحسن عملا .

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

Marfat.com

مقاصد الدين

١ – السموّ الروحي عن طريق تقوى الله ومحاسبة الضمير حيث يقول تعالى « واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم تُوفّى كلُّ نفسٍ بما كسبت وهم لا يظلمون » .

٢ – الاعتصام بحبل الله حيث يقول تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

٣ – المساواة التامة بين عموم الأفراد أمام القانون حيث يقول تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

٤ – الأخوة الصادقة القائمة على التواد والتراحم حيث يقول تعالى « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » ويقول أيضاً « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له باقي الجسد بالسّهر والحُمّى » .

٥ – التعاون حيث يقول تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى

Marfat.com

ولاتعاونوا على الإثم والعدوان » وحقيقة البر هى مابينها الله فى قوله « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

٦ ــ القسط أو العدالة العامة حيث يقول تعالى « قل أمر ربى بالقسط » ويقول : « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

٧ ــ الإحسان حيث يقول تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ماتفعلون » ويقول تعالى « وأنفقوا فى سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ويقول أيضاً « لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاحٍ بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

Marfat.com

٨ — الحرية الكاملة مع الطاعة لأولى الأمر فى حدود الدستور الإلهى الذى وضعه ربُّ العزة لإصلاح حال المجتمع وأكمل به جميع الأديان ، ألا وهو القرآن حيث يقول تعالى « يا أيُّها الذَّين آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ وأولى الأمرِ منكُمْ فإنْ تنازَعْتُمْ فى شىءٍ فردُّوه إلى اللهِ والرَّسول إنْ كُنتم تؤْمنونَ باللهِ واليوم الآخرِ ذلكَ خَيرٌ وأحْسَنُ تأوِيلاً » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنى تارك فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » .

٩ — الوحدة الشاملة فى كل شىء فى الدين واللغة والاتجاه والمقاصد والعادات والأخلاق والثقافة والتعلم والسياسة والقوى ، وكل ما من شأنه أن يجعل الأمة متضامنة متحدة إتحاداً وثيقا لا انفصام له .

١٠ — التزام الصدق فى القول والإخلاص فى القول والعمل والوفاء بالعهد والمحافظة على المواعيد والصبر على الشدائد والبر بالآباء وتوقير الكبير والعطف على الصغير مع التواضع والحلم والكرم والعناية باليتيم .

١١ — الامتناع عن الغيبة والنميمة ، والحسد ، والخيانة ، والكذب والنفاق والتجسس ، والإيقاع بين الناس والغش فى المعاملة ، والتطفيف فى الميزان وغير ذلك من كل ما يؤدى إلى العداوة والبغضاء . . كالسكر وتعاطى الربا .

١٢ — والإسلام يدعو إلى جميع الفضائل والمكرمات ويأمر

Marfat.com

بالعمل لتحصيل منافع الدنيا وكسب الرزق بشتى أنواع العمل المشروعة كالتجارة والزراعة والصناعة والأخذ بأسباب القوة وإعداد العدة ومايكون موجوباً للعزة وإقرار السلام والاحتياط لمنع الحرب ولحض الناس على النظافة والزينة وجميع الطيبات ويدعوهم إلى البحث والتفكير فى أسرار الكائنات وطبائع المخلوقات ويوجب تعميم تعليم المتعلم للعلم النافع : الأصول والعقائد والتفسير ، والحديث والفقه واللغة . ويحترم قرار العلماء فى كل ماتخصصوا فيه من الطب والإدارة والاقتصاد وسياسته وسائر الشئون العسكرية ، والفنية ، ويعتبر كل مايقوم به الفرد فى حياته الخاصة والعامة طاعة يؤجر عليها إذا قصد بها وجه الله والنفع بعباده وكانت فى نطاق الشرع والطرق شرعها الله سواء أفادت نفعاً خاصاً أو كان من شأنها أن تؤدى إلى عمارة الكون ومصلحة العموم . فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم «إن فى بضع أحدكم لأجراً» . فقال الصحابة « أيباشر الرجل لذته ويكون له أجر ؟» قال : أليس إذا وضعها فى حرام يكون عليه إثم قالوا بلى . قال كذلك ، إذ وضعها فى الحلال فله أجر ». والإسلام لا ينهى إلا عن كل ما فيه ضرر بالعقل أو الجسم أو كان مناقضاً لما يرضى الله أو قصد به التزلف إلى غير الله كما أنه ينهى عن الاعتداء على حقوق الغير أوالإساءة إليهم ولو حتى بمجرد القول ويربأ بمعتنقيه عن كل أمر فيه أى مساس بالشرف ومدعاة إلى الانحطاط أو المنافاة للأدب وعزة النفس وعلو الهمة .

Marfat.com

التفقه فى الدين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

الدين الإسلامى هو الأحكام التى وضعها الله العليم الحكيم لعباده مشتملة على جميع ما تصلح به حياتهم الدنيوية والأخروية صالحة لكل زمان ومكان لأى أمة من الأمم على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام المؤيدين منه سبحانه بالمعجزات والآيات البينات .

شرع سبحانه هذه الأحكام وفصلها تفصيلا وأقام الأدلة الناطقة الباهرة على صحتها وموافقتها لمصالحهم وأردف ذلك ببيان المنافع والثمرات الطيبة العائدة عليهم ما داموا عاملين بها واقفين عند حدودها ، يعرف ذلك من مارس هذا الدين ونظر فيه نظر المتدبر المنصف الباحث عن الحق إذا تبين له اتبعه وكان به من المهتدين .

شرع لنا جلت قدرته هذا الدين وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغه لنا فأخبرنا عليه الصلاة والسلام أن علامة إرادة الله تعالى الخير للعبد أن يفقهه فى الدين وأن يهبه من الفطنة والذكاء مايوصله إلى إدراك حقيقة هذا الدين وحقيته ، وإلى معرفة مافيه من الأسرار والحكم البالغة وإلى العلم بأنه الوسيلة العظمى إلى نيل السعادة الكاملة فى الدنيا والآخرة

Marfat.com

فمن كان متفقهاً فى دين الله تعـالى هذا التفقه، فهو ممن أراد الله به خيراً كثيراً ينال حظه فى دنياه وآخرته . ومن لم يكن كذلك فهو من المحرومين الذين ذكروا بآيات ربهم فأعرضوا عنها وتولوا مستكبرين وضلوا عن سواء السبيل .

بعد ذلك أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (وإنما أناقاسم) إلى أنه عليه الصلاة والسلام إنمـا هو موزع عليهم جميع علوم الدين وموصلها إليهم مع التسوية بينهم فى تبليغها لهم لا يخص فريقاً بشىء دون فريق ولا تأثير له فى تعيين مقدار نصيب كل واحد منهم بل إنمـا ذلك التعيين لله سبحانه ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم (والله يعطى) أى أن التفقيه فى الدين إنما هو من الله وحده لأن نعمة الذكاء والفطنة التى بهـا يكون التفقه والفهم الكامل إنما يقدر عليها الله تعـالى دون سواه ، فهو سبحانه الذى يجعل نصيب الانسان من التفقه فى الدين بمقدار معين فيكون هو قسمه ونصيبه الذى يوصله إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغه كل على قدر إدراكه وذكائه الذى وهبه الله له . واعتبر هذا الرأى الذى ذكرناه بما تعلمه من أمر المعلم مع من يعلمهم يظهر لك معنى الحديث الشريف واضحاً جليا . ألا ترى أن المعلم يلقى على المتعلمين المسائل محدودة مضبوطة من قبل إلقاء رتب أجزاءه ترتيباً ونسق جمله تنسيقاً وأسمعهم عبـارته جميعاً وسوى بينهم فى الإعلام والتعليم . وبذل ما استطاع من أساليب الإفهام والتفهيم ، ثم بعد ذلك يكون حظ كل متعلم مما تلقاه عن معلمـه

Marfat.com

بقدر استعداد فطرته وذكاء عقله وصفاء نفسه الذى فطره الله تعالى عليه ووهبه إياه . فما أشبه هذا المعلم المخلص حينئذ بالزارع الخبير المجد ! يهيء الأسباب ويعد الوسائل ويمهد المزرعة ثم يبذر الحب وينثره فيها بالتساوى والقسطاس ثم يسلم الأمر ويفوض العاقبة إلى الله الذى جعل لكل شيء قدراً وخص من فضله من شاء بما شاء من نعمته وهو العليم الحكيم .

هذا : ثم إن الفقه فى اللغة ، هو أن تتوصل بالأمر الذى تعلمه إلى الأمر الذى تجهله فتجعل الشيء المعلوم لك الحاضر فى ذهنك وسيلة تتوسل بها إلى إحضار الشيء الغائب عنك ، فمن هذا يتبين لك أن الفقه أخص من مطلق العلم . ويكون معنى تفقيه الله تعالى لمن يريد به خيراً هو أنه سبحانه يفيض عليه من لدنه فيوفقه لصحة ترتيب ما فى نفسه من المعلومات ويلهمه نظم ماهو حاضر عنده من صحيح المقدمات ليعبر منها إلى العلم بما هو مجهول له ، ويستنبط منها ما يتناسب معها ويشاركها فى حكمها وحكمتها .

فإذا تلقى المتعلم عن معلمه مسألة وعلم حكمها فعلى قدر إدراكه الغريزى يكون قدر فهمه لها ، فإن كان ضعيف الفطنة فإنه يفهمها ويقف إدراكه عند فهمه لما ظهر له منها لا يتجاوزه إلى ما يماثلها من مسائل أخرى لم يسمعها من المعلم ، وإذا كان قوى الفطنة ذكيا فإنه يتخطاها ويقيس عليها أمثالها ويستنبط منها أشباهها والناس فى ذلك متفاوتون تفاوتاً لا يتناوله عد ولا إحصاء .

Marfat.com

على هذا السنن وأمثل منه وأحكم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين ويلقنهم أحكام الله تعالى التى علمه إياها ويرشدهم إلى تفهم ما أنزله عليه فى كتابه العلى الحكيم . كان يلقى عليهم ما يراه أنسب بحالهم الحاضرة ويقدم إليهم ماهم أحوج إليه من غيره . يعدل بينهم فى التعليم ، ويسوى بينهم فى التقسيم والتوزيع ، ولكل منهم نصيب من عناية النبى صلى الله عليه وسلم وتبليغه يعادل نصيب أخيه الآخر ، وهذا كما قدمناه لك معنى قسمته عليه الصلاة والسلام فى قوله (وإنما أنا قاسم) أى موزع بينكم بتبليغ دين الله تعالى بالعدل وموصله إليكم على المساواة بعد أن تتساوى أنصبتهم فى قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغ بينهم وفى فهمهم لها فهماً صحيحا تتفاوت حظوظهم فيما فهموه قوة وغيرها قلة وكثرة تفاوتاً نشأ من تفاوتهم الخلقى فى الاستعداد والذكاء والأفهام ، لا من تفاوتهم فى التبليغ والتعليم والإفهام .

لذلك كان منهم من يفهم المعنى الظاهر الجلى ، فهماً سديداً من تبليغ النبى صلى الله عليه وسلم لا يتعداه إلى ما هو خفى عليه لأن استعداده لا يقوى على الوصول إليه ، ومنهم من إذا فهم ما سمع تأمل فيه وتدبر وجال فكره فيه وأمعن فى نواحيه حتى يدرك ما فيه من رموز وإشارات صحيحة ويعرف ما اشتمل عليه من أسرار وحكم بالغة ، وتتجلى له المعانى التى هى وراء ما سمعه فيقيس الأشباه على الأشباه ويلحق النظائر بالنظائر ويستنبط من أصول دين الله الصالح لكل أمة فى أى زمان ما يوافق

Marfat.com

المصالح الحاضرة ، مبيناً للناس ما فهمه وما استنبطه موضحاً لهم من أين استنبط وكيف استنبط لا يتهم بعد ذلك أنه شرع لهم ما لم يأذن به الله فإذا أصاب فيما اجتهد فيه قبلوه منه وله عند الله أجران ، وإن لم يصب ردوه إلى الصواب وله أجر ، وعلى الجملة كانوا فى تعرف أحكام الدين واستنباط ما ينطبق على مصالحهم المشروعة الحاضرة مؤتمرين بقول الله تعالى (واتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ) وقوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ) وقوله (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) .

هذا هو الصراط المستقيم الذى سار عليه الصحابة رضى الله عنهم ، ثم اقتدى بهم فى ذلك خلفهم الصالحون من التابعين وتابعيهم ، ثم جاء من بعدهم الأئمة المجتهدون فاهتدوا بهديهم واستنوا بسنتهم ، إمامهم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذى جمع كل صلاح الدين والدنيا كما قال عز وجل (مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) .

وكذلك كانت قدوتهم الحسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر لهم كتاب الله تعالى وترشدهم كيف يتعلمون ويعلمون كما قال الله تعالى جل ذكره (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

لعل الذين اجترأوا على الدين الإسلامى فاتهموه عمداً أو جهلا بأنه

Marfat.com

كغيره من الأديان إن صلح فإنما يصلح للأرواح ، أما الحياة الدنيوية الزمنية فإنه لا صلة بينه وبينها، لأنه خلو مما يصلحها ويقومها، وأن مايدعيه له أنصاره فإنما هو أشياء جافة جمدوا عليها وأنها إن نسبت كما زعموها له فإنما هى أمور قدم عهدها كانت لزمن سلف وأمة قد خلت ، لعلهم تبينت لهم مما شرحناه حقيقة ذلك الدين فعلموا أنهم فى اتهامهم له بذلك كانوا عن صراط الحق ناكبين ، ولعلهم اعترفوا لدين الله تعالى بأنه دين حرية العقل المشروعة وأنه سبيل للاصلاح الدنيوى والأخروى مذعنين .

نقول أما إن حقيقة الإسلام الحنيف قد تبينت لهم فانه لاشك فيه ولا جدال على أنها ماخفيت على بصائر أولى الألباب منذ أن أشرقت شمسها وبلغت الدعوة إليها مشارق الأرض ومغاربها ، كما قال عز وجل (لا إِكْرَاهَ فى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ من الغَيِّ) . وأما أنهم علموا أنهم كانوا عن سواء السبيل منحرفين فإنه كذلك لانزاع فيه ولا مراء، فإن المبطل إذا أخذته العزة بالإثم فأنكر على الناس علمه بالحق فإنه لن يستطيع إنكاره على نفسه التى بين جوانحه :

وأما اعترافهم بأن دين الإسلام هو وحده دين الله الذى لن يقبل من أحد دين سواه كما قال سبحانه (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ منه) فإن كان هذا الاعتراف منهم بألسنتهم ترجماناً لما فى قلوبهم فقد آمنوا بمثل ما آمنتم به وكانوا مهتدين ، وإن كان الاعتراف منهم على

Marfat.com

غير ذلك الوجه أو لم يعترفوا أصلا (وَلَا نَخَالَ صُدُورَهُ عَمَّنْ جَعَلَ اللهُ لَهُمْ سمعاً وأبصاراً وأفئدةً يقدرونها قَدْرَها) فإننا لا نيأس من رجوعهم إلى الحق وقتاً ما ، فإن الباطل لا يتراءى للنفوس إلا فى اشتغال الحق عنه فإذا فرغ له دمغه فإذا هو زاهق (إن الباطل كان زهوقا) .

هذا . ثم أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك العاقبة الحسنى لمن اعتصم بهذا الدين الحنيف وأطاعه والعاقبة السّوءى لمن أعرض عنه وعصاه ، فأخبر أن هذه الأمة المحمدية التى أكرمها الله المتفضل بهذا الدين القويم ستستمر قائمة على أمر الله ، سائرة على تعاليم دينه ، ممتثلة أوامره ، مجتنبة نواهيه ، منفذة أحكامه ، حافظة لشرائعه ، وحينئذ يكافئها الله تعالى فى الدنيا بأن يحفظها ممن يخالف دينها فيرد عنها كيد أعدائها ويدفع عنها شرورهم ولا يسلطهم عليها ، ولن يجعل الله لهم عليهم سبيلا بل يجعلها مهيبة ملء قلوبهم وأعينهم ، ويجعل الفوز والنصر العزيز ، ونفاذ الكلمة ، وعزة السلطان ، وقوة الجانب لها عليهم . ولكن هذه المكافأة الحسنى من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية إنما تكون ما داموا معتصمين بعروة دين الله الوثقى ، عاملين بتعاليمه ، أما إذا نبذوه وراء ظهورهم وعصوا أوامره وارتكبوا محارمه فإذ ذاك يأتى أمر الله وهو حكمه على من يعرضون عن دينه ويعصون أوامره وينتهكون حرماته بالذلة والصغار والفقر والحاجة وتسليط غيرهم عليهم جزاء وفاقاً

Marfat.com

(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وقال سبحانه (وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون) فلينظر المسلمون بعد ذلك ليعلموا من أى شطر من شطرى هذا الحديث المبشر المنذر هم؟ فإن كانوا من شطره الأول قائمين على أمر الله شكروه سبحانه أن هداهم للإيمان ووفقهم لما يرضيه عنهم ويرضيهم عنه واستوهبوه دوام توفيقهم وشكرهم له حتى يزيدهم من فضله كما وعد الشاكرين فى قوله (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ).

وإذا كانوا من شطره الثانى الذين نسوا الله فنسيهم واستهدفوا لأمر الله يأتيهم بغتة وهم فى خوضهم يلعبون، فخير لهم أن يتقوا الله وينظروا ما قدموا لغد إن الله خبير بما يعملون (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون؟).

Marfat.com

الإسلام دين الفطرة

قال الله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

لقد تضمنت أحكام الشريعة الغراء من بالغ الحكمة ووفائها بمصالح البشر على وجه يكفل سعادة الحياتين ونعيمهما فنقول :

الأحكام العملية ثلاثة أقسام (الأول) المتعلقة بما بين العبد وخالقه و (الثانى) الأحكام الراجعة إلى الإنسان فى خاصة نفسه و (الثالث) الأحكام المنظمة للعلاقات بين المرء وسائر الناس أو وسائر الخلائق .

نقسمها هذا التقسيم وإن كانت جميع الأفعال التى قصد بها الوقوف عند حد ما أذن الله فيه كانت مرضاة لله موجبة للمثوبة ، وإذا تعدى بها حدود ما نهى الله عنه كانت موجبة لسخطه ، وكذلك بعض أفعال العبادات راجعة إلى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم وبعض .

(فالقسم الأول) هو ما يعرف بالعبادات قد جمعه الحديث الشريف

Marfat.com

« بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » رواه البخارى، وقد سميت أركان الإسلام وقواعده ، فانظر إليها وأطل التأمل والتفكير تستجل ما حوت من معان وحكم ، ألا ترى عمادها الأول وركنها الأقوم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أنظر فى التعبير بكلمة شهادة وقد عرفت فى التحدث بما تعلمه علم الشهود ، علماً لا شك فيه ولا ريبة ، علماً يجعلك كأنك تحدث عما تشاهد ، لا أنك سمعت الناس يقولون قولا فقلته ، ثم انظر إلى الشطر الأول منها تجد الاعتراف والإذعان بأنه ليس فى الوجود من له الهيمنة والتصريف وبيده وحده مقاليد كل شىء ومن له الخلق والأمر ومن وسع كل شىء رحمة وعلما ومن بيده تقليب القلوب وتصريف الأمور وتقدير الشؤون ، ومن هو الضار والنافع وهو على كل شىء قدير ، سوى واحد أحد هو الله لا شريك له فى الملك وليس لأحد معه فى الأمر شىء ، فلا ينبغى أن تخضع النفوس إلا له ولا ترجو ولا تخشى سواه ، أنظر كم فيها من إطلاق نفس الإنسان من العبودية للإنسان بله الجماد والحيوان ، أنظر ، كم فيها من السمو بالنفس إلى مرتبة السيادة والاستقلال والرجوع إلى من هو مرجع الجميع ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالزلفى لديه والتقرب إليه .. أنظر ، كم فيها من الإشعار بأنه هو الإله الذى يعلم السر وأخفى ، ويعلم خواطر النفس وما تخفى الصدور ، الذى يطلع عليك فى خلوتك

Marfat.com

ويعلم دخيلة نفسك وهو قابض على ناصيتك ومالك زمام قوتك وأنت الغارق فى نعمته السابح فى بحر رحمته (وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ)(وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) ، أنظر وتأمل كثيراً ثم حدثنى بالله أليس من أكبر العجب كما قال الحريرى : « إن تتوارى من مملوكك وأنت بمرآى من مليكك وأن تجاهر بمعصيتك مالك ناصيتك »؟ ألا تشهد معى معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) أليس صحيحاً أنه لو استحضر معنى ما ينطق به كل ساعة ويعتقده اعتقاداً تاماً وإن كان يغفل عنه أحيانا — وهو أن القوة التى يحارب بها ربه هى هبة من ربه وأنه مطلع عليه كما يطلع الرجل على الرجل بل أكثر وأكثر ؟ ! — لو استحضر ذلك لكان على صفة صهيب التى وردت فى الأثر الشريف « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله » بلى إن أمر الإنسان لعجب ؟ ؟ يستخفى من مملوكه الذى لا يقدر له على شىء وهو بمرآى مليكه الذى بيده مقاليد كل شىء ، وما أصدق قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) فلو استحضر معنى ما هو مؤمن به وأجراه على قلبه لكان إن لم يمنعه الخوف من عقاب الآخرة منعه الحياء من اطلاع سيده الذى وهبه نعمته ليستعملها فى طاعته فقلب على نفسه النعمة وصيرها نقمة .

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) .

Marfat.com

وأما الشطر الثانى وهو « وأن محمداً رسول الله » فهو الوصلة العظمى والعروة الوثقى بين ما يفهم من الشطر الأول وبين جميع أحكام الشريعة الغراء ، فمتى أذعنت النفس واعترفت بما تعلمه علم اليقين والمشاهدة حتى صح لها أن تقول أشهد وأحدث بما أعلم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند الله أرسله إلينا بالبينات والهدى ، فما أمرنا به فإنما أمرنا به ربنا وما نهانا عنه فهو جل شأنه الناهى فى الحقيقة كما قال تعالى فى الكتاب العزيز (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) . كان ذلك مدعاة للنفس التى يصح أن يقال لها نفس إنسانية تميز ما ينفعها مما يضرها أن تأخذ بقدر استطاعتها من هذه الأمور التى هى تجارة رابحة وموجبة للزلفى عند الله وباب مرضاته ، وأن يرتدع ارتداعاً تاماً عما يوجب غضبه ، وأنه ليكفى العاقل فى المسارعة إلى امتثال هذه الأوامر علمه أنها من أمر ربه موجبة لرضائه ، وأن مخالفتها موجبة لسخطه وغضبه ، يكفى هذا لدى العاقل ولو فرض أنه لا يترتب على امتثالها أو مخالفتها ثواب أو عقاب . فإن النفوس الشريفة ليس شىء أحب إليها من أن تعمل عملا يبلغ مرضاة من له عليها منة ما ، فما بالك بمرضاة من هو صاحب المنن كلها فى الحقيقة ! وما كانت منة أحد على أحد إلا لأن المنعم الأعظم جعل بعض عباده طريقاً لتوصيل نعمته إلى بعض ، والكل من الله وحده فلا إله إلا الله ولا متصرف فى الكائنات سواه : أجل يكفى هذا وحده فى إقبال النفوس على الطاعة وارتداعها

Marfat.com

عن المعصية ، فكيف إذا علم أن الطاعة موصلة إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وأن المعصية قائدة إلى نار وقودها الناس والحجارة ؟ أليس هذا يجعل من أكبر العجب أن يحارب المرء بمعصيته مالك ناصيته ؟ أو ليس هذا مما يشرح لنا قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » إلى آخر الحديث ، وفوق هذا فقد اقتضت حكمته جل شأنه أنه لم يتعبدنا إلا بما فيه مصلحة عاجلة لنا

لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

وإن كان هو السيد المالك يكفى فى وجوب المسارعة إلى امتثال أمره إن ذلك موصل إلى رضاه ، وهو صاحب النعمة حتى فى أصل الوجود والتكوين .

نقول لم يتعبدنا إلا بما فيه مصلحة واضحة لنا سواء فى العبادات وهو ظاهر فى أصولها وجملتها وإن خفى علينا فى بعض تفاصيلها ، وفى المعاملات وهو ظاهر واضح فى جملتها وتفصيلها وإن غم على بعضهم انقياداً للنظرة العجلى فى مستحدثات الشؤون ومجاراة الأهواء ، وفى الأخلاق وهو أظهر وأوضح .

وإليك البيان فى بقية أقسام العبادات :

الصلاة : الصلاة عماد الدين فمن ضيعها فهو لما سواها أشد تضييعاً . أجل ، فإنها جماع أركانه ، فقد اشتملت على الشهادتين وأنفق المصلى بعض ماله فى العبادة ، وهو بذل الماء للطهارة ، وأمسك عن كل ما يمسك

Marfat.com

عنه الصائم ، واتجه نحو البيت الحرام تنسكا وتعبداً ، وقد عنى الشارع بها حتى جعلها تتكرر فى اليوم حتما خمس مرات ، وجعل أعمالها مكررة فى كل مرة مثنى وثلاث ورباع تثبيتاً لها وتمكيناً فى النفس ، بل جعل بعض أعمال الركعة الواحدة متكررة فيها كالسجود مبالغة فى إخضاع النفس لخالقها وحده ، ولقد شبهها صلى الله عليه وسلم بالنهر يكون أمام بيت الرجل يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فلا يبقى فيه من درن وبلغ من عناية الشارع بأمرها أنه لن يبيحها لشخص حتى يستعد لها الاستعداد اللائق بها فيتطهر من الحدث والنجس فيطهر ثوبه وبدنه ومكانه ، وكأنه وهو يتطهر يقول بلسان حاله : رب قد طهرت ظاهرى من الأدران والأقذار استعداداً لمناجاتك والوقوف بين يديك فأعنى على تطهير باطنى من كل ما يدنسنى ويمنعنى عن الوصول لمرتبة الصديقين ، رب قد غسلت فى بالماء فاجعل ذلك تكفيراً لما جرى به لسانى مما لا ترضاه لى ، رب وقد غسلت وجهى وهو مجمع حواسى فاجعل ذلك تطهيراً لها مما اقترفت مما أشعر به وما لا أشعر ، وكذلك غسل يديه التى هى مظهر بطشه ومرجع عمله ، ثم مس رأسه الذى هو مستودع قوة تفكيره فكأنه يقول : اللهم هذا مبلغ طاقتى فى تطهير نفسى فأعنى على ما بقى خفياً عنى ، فإذا غسل رجليه فلكى يسعى بهما طاهرتين إلى خير ما تسعى القدم ، ذلك هو الوقوف بين يدى ربه خاشعا خاضعا مستحضراً عظمته وجلاله وصغر كل ما سواه قائلا بلسانه وقلبه « الله أكبر » أليست

Marfat.com

هذه الكلمة بعد هذا الاستعداد العظيم كافية للنفس التى تعرف فيمنها أن تنصرف عن كل ما سواه وكل ما سواه صغير حقير والله أكبر ؟؟ أليس ينبغى له وقد وقف بمرآى من ربه أن يقبل عليه فيذكر نعمته ويشكرها ويثنى عليه بأنه هو صاحب الحمد وحده فى كل نعمة ، فما من نعمة إلا وهى منه وأنه هو رب العالمين خلق كل شىء فسواه وأعطاه كماله اللائق به ، ثم هو مصدر الرحمات والواهب لجميع العطايا ، فإن لم يكفه هذا ليجذب نفسه نحوه رغبة فى فضله واعترافاً بشكره فهو مالك يوم الدين (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً) وهنا تجد نفسك بين الرغبة العظمى والرهبة الكبرى فلا تجد مناصاً من إفراده بالعبادة وحده ، فتتجه إليه مستحضراً عظمته وتخاطبه كأنك تشاهده (إياك نعبد) ولما لم يكن للنفس قدرة إلا منه ولا معونة إلا به تخصه بطلب المعونة (وإياك نستعين) وهنا تشعر بأن التوفيق والهداية ليس لهما باب إلا رحمته الواسعة ، فكم من عقول كانت راجحة فزلت وضلت لأنها لم تدركها هدايته فيبتهل المصلى إلى ربه طالباً منه الهداية إلى الطريق الأقوم ، طريق المتقين وأن يباعده عن سبيل المنكرين المعاندين والضالين الزائغين فيقول (اهْدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

وبعد هذا فسواء أقرأ بعد ذلك ما تيسر من القرآن أم اقتصر على

Marfat.com

أم الكتاب . فإن هذا المقدار كاف فى أن يخضع لجلال الله ، ويطأطىء هامته أمام عظمته مسبحاً حامداً معترفاً بلسان حاله أنه هو الجدير وحده بأن يخضع له ويخشع أمام هيبته ، وتحنى الهامات تعظيما لقدره ، فإذا ما اطمأن لهذا طلب إليه أن يرفع قامته استعداداً لامتثال ما يطلب منه والقيام بما يؤمر به ، فيطلب إليه بعد هذا أن يخر ساجداً لله وأن يضع جبهته — وهى أعز شىء لديه — على الأرض خضوعاً لله وحده ليحرر نفسه من العبودية لغيره ، وهنا يجىء « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ثم يكرر ذلك تثبيتاً وتمكيناً لمعالم الذلة لله وحده التى هى باب العزة للنفس ، فإذا ما كرر هذا العمل مثنى فى الصبح وثلاث فى المغرب ورباع فى باقى الأوقات قائماً باستحضار تلك الأسرار ، فكم يكون مطهراً لنفسه ؟ وكم يكون للصلاة من أثر فى تهذيب النفوس وتطهيرها من الأدران كما يغتسل المرء فى نهر أمام منزله خمس مرات كل يوم فلا يبقى فيه من درن كما فى الحديث الشريف . أو لم يتضح لنا بذلك قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) أولم يظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم فى الرجل الذى قيل عنه أنه يفعل كيت وكيت وقد سأل : أليس يقيم الصلاة ؟ قالوا بلى ! فقال إن صلاته ستنهاه .

أجل . إن الصلاة على هذا الوجه وبهذا الاستحضار عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، ولا يفوتك أن تتأمل بنفسك مغزى كلمات التشهد فى آخر الصلاة أو وسطها وما فيها

Marfat.com

من توجيه التحيات والتعظيمات لله ثم إهداء السلام للواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم ، ثم السلام على نفسك وعلى عباد الله الصالحين والعودة إلى الأساس الأكبر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم الصلاة على النبي وعلى آله لأنه الوسيلة إلى هذا الخير كله .

وأما التوجه إلى القبلة فليشعر بأنه وإخوانه المؤمنين جميعاً متجهون إلى جهة واحدة هي أول مهبط للوحي ، فينبغي أن تتحد قلوبهم كما اتحدت وجهتهم .

ناشدتك الله أيها المصلي أن تروض نفسك المرة بعد المرة على أن تستحضر في صلاتك هذه الأسرار حتى تتمكن من نفسك وتصبح ديدنك وعادتك ، فإنك بلا شك ذائق حلاوة الإيمان وشاهد مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ومصداق قوله تعالى (إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) وبالغ درجة الإحسان وهي « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

الزكاة : قد جعلها الشارع الحكيم قرينة الصلاة في غير ما آية من الكتاب العزيز ، وذلك أن المال أعز شيء على النفس حتى قالوا المال شقيق الروح ، إذ يشعر المرء أنه ما من غرض يبتغيه إلا وجد المال وسيلة إليه ، فأمر هذه صفته ومنزلته في النفس كم يكون الخروج عنه بلا مقابل عاجل صعباً على النفس وشاقاً ، فلا جرم أن جعل الشارع بذله وهو على هذه الصفة ابتغاء مرضاة الله علامة الانقياد لطاعته والرغبة

Marfat.com

فى مرضاته ، وكان جديراً بالنفس التى ريضت على التهذيب الدائم حتى أصبحت سلسلة القيادة لطاعة مولاها أن يكون أول مظهر هذا الانقياد الإقبال على بذل النفيس العزيز حباً فى إحراز المطلب العزيز وهو رضا الرحمن ، فانظر كيف أن العبادات يأخذ بعضها بحجز بعض حتى تكوّن هيكلا عظيما وبناء شامخاً ، وقد أفردنا للزكاة مقالا فى هذا الكتاب شرح بعض ما لها من مزايا وإن كانت أسرار التشريع أوسع من أن يستوفيها مثل هذا القلم القاصر .

الصوم : أما الصوم فما أحوج النفوس التى غرقت فى لذائذ الحياة وانغمست فى الترف والنعيم أن تشعر ردحاً من الزمن بالحاجة إلى المربى الأعظم وتذكر نعمته عليها ولا يذكر بالنعمة إلا فقدها كما قالوا : « الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى » وليس هذا قاصراً على نعمة الصحة ، فالإنسان دائماً مولع بالنظر إلى ما حرم منه غافل عن الاعتداد بما متع به ، ولذلك جاءت الآيات تترى حاثة على تذكر النعم للقيام بشكرها ، ومن أعظم نعم الله على عباده المؤمنين التى تكررت حتى أصبحت كأنها أمر طبعى مألوف لا يحس به ، هو الإطعام من جوع ، فاقتضت حكمة العليم الحكيم أن يكلف الإنسان أن يجيع نفسه جزء من الزمن ليشكر نعمته عليه وليذكر حال من حرم من هذه النعمة بسبب الفقر فيعطف عليه ، وليهذب نفسه ببيان عجزها وضعفها حتى ترجع إلى خالقها ، ثم تعويد النفس على ضبط عواطفها ، وتربية ملكة الصبر والأمانة فيها .

Marfat.com

الحج : جاءت الشريعة الإسلامية المطهرة لتكوّن الأمة وتوحد صفوفها وتجمع شملها وتقوى كتلتها وتمتن بنيتها ، كما كفلت تهذيب الفرد وتطهير نفسه ورفعه عن الدنايا والدنس وعن الخضوع ، خضوع العبادة لغير ربه ، والأمة الإسلامية لا يحويها صعيد واحد ولا يحصرها إقليم واحد ، وإنما هى تعمر الأرض مشارقها ومغاربها ، ولكل أمة مزاياها ورزاياها ، ورب أمة ممتعة بمزايا جمة قد حرمت مزية كبرى امتازت بها أمة تعيش بمنأى عنها وكذلك رب رزية حلت بقوم وقد نجا منها غيرهم بما هداهم الله إليه .

ولما كان الإسلام قد جعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وجعل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . كان تشريع أمر الحج تشريعا عجبا يهدى إلى الرشد وينقذ من الضيم ويعين البعض على مساعدة البعض ويجعل التراحم بين المؤمنين والتساند حقيقة لا خيالا ففرض على المؤمنين أن يحج منهم من استطاع ليشهدوا منافع لهم وليطوفوا بالبيت العتيق الذى هو قبلتهم ورمز وحدتهم ووجهتهم فى عبادتهم لحكم جليلة لا لأن الله فى مكان سبحانه عن أن يحويه مكان ، وقد تضمن بما شرع فيه من التجرد عن متاع الحياة الدنيا ذكرى يوم البعث والنشور ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وكأن الحجاج يقولون بلسان حالهم : ربنا إننا تجردنا من كل شىء لنقبل عليك فلبيك اللهم لبيك .

Marfat.com

وقد اقتضت حكمته جل شأنه أن يجعله فى واد غير ذى زرع تجبى إليه ثمرات كل شىء لينجو من أن يكون مثار التنازع على الملك من حيث احتواؤه على زخرف الحياة الدنيا ومتاعها ، فإذا ما تنوزع على الأمر فيه فليس إلا للقيام بخدمة عباد الله ، وإقامة شعائر الله ، وهكذا كان وهكذا يبقى إلى ما شاء الله .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا التوفيق لطاعته ، ويباعد بيننا وبين معصيته.

فانظر إلى هذه الأحكام وما احتوت من أسرار وحكمٍ عقلك فيما إذا كشف لك الغطاء وكنت من أنوار الناس بصيرة وأرجحهم عقلا وهديت إلى مالم يهتد إليه غيرك ، ثم كلفت أن تضع للناس قانوناً يهذب من طباعهم ، ويسلس من قيادهم ، ويلين شكيمتهم ، ويزيل الأحقاد من نفوسهم حتى يتم تراحمهم ، أفكنت واجداً خطة أهدى تتبعها أم أنت معترف بأن الكمال لله وحده ، وإن هذا هو الدين الحنيف (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

Marfat.com

بين العلم والدين

هل الدين ضرورى للحياة ؟

ربما كانت هذه المسألة أحق المسائل بالبحث ، وألزمها بالمراعاة فى هذا العصر ، الذى سيطرت فيه على الحياة والأحياء ، هذه الظاهرة المادية ، ووقف الإيمان بناسه عندما تلمسه اليد ، وتحيله فى بوتقات التجارب ، ولعلهم يشكون فيما تراه العين ، وتسمعه الأذن ، ويشمه الأنف . . . حتى عاد هذا العصر أشبه شىء بعصور الوثنية ! وصار أهلوه أشبه بمن يصنعون التماثيل ويعبدونها من دون الله ! !

هذه الروح العامة تلقاك حيث سرت ، وأين حللت ، تلقاك فى العلم بين العلماء ، وفى الفن بين الفنيين ، وفى المصانع بين العاملين ، سحرت الشبان ووقفت بتفكيرهم وعقائدهم وإيمانهم عند هذه الدرجة ، كأنما الحياة جسم لاروح فيها ، وكأننا ألغينا العقول واستحلنا زنوجاً نجدد تاريخنا مطلع كل شمس ، أو حجارة ليس لها من الحياة والممات إلا ملء الفراغ والتحيز فى الأجواء .

نحن فى حاجة قصوى إلى استرداد إنسانيتنا ، وعرفان هذه الناحية الروحية التى تميزنا من سائر الكائنات ، وتتجاوز بنا هذا الستار الحسى

Marfat.com

السخيف ، إلى حيث نعرف أنفسنا ، ثم نعرف خالقنا ؛ إلى حيث الإيمان والدين .

. أما أن الدين مسألة طبعية للإنسان ، فشيء ثابت لا يتردد فيه الباحثون الآن مهما يكن لون هذا الدين : فليكن ديناً أرضياً ، وليكن ديناً سماوياً ، وليكن مذهبا اجتماعيا أو علميا ، ولكنه على كل حال عقيدة يطمئن إليها الإنسان ، ويصدر عنها فى حياته ، وتظهر آثارها وروحها فى كل أعماله ؛ فالدين هو هذه الشخصية الروحية للإنسان ، وهو كما يحكى « كارليل » : أحسن مافى الإنسان ، وأى شيء أحسن من الهداية والرشاد ، وأى شيء أقوم من هذا الذى يرسم لك طريق الحياة ، ويطمئنك على مابعد الممات ؟ !

✡ ✡ ✡

ولكن المسألة هى : أى دين هذا الذى يستطيع السيطرة القوية الخالدة على الحياة والأحياء ؟ أيكفى فيه هذه المواضعات البشرية ! والقوانين الاجتماعية ، التى يضعها العلماء النابهون ؟ أم أن الدين بحكم طبيعته ووظيفته يجب أن يستمد أصوله وروحه من مصدر أسمى من هذا الإنسان ليستطيع السيطرة على الإنسان ، ويجب أن يبسط سلطانه على الحياة ومابعد الحياة ، ليبعث فى الناس الصبر والاحتمال والأمل العريض ؟

(١) لعل أهم ميزة للدين السماوى كالإسلام ، هى الاعتراف بحياتين :

Marfat.com

هذه الحياة الدنيوية التى يجول فيها الناس ، وتقف عندها جهودهم ، وتقصر عليها معارفهم ، وتوضع لها قوانينهم العلمية المدنية ، ثم تلك الحياة الآخرة التى قد تعد أمام المعرفة الإنسانية سراً مجهولا ، وربما صارت عند البعض سرابا خداعاً ووهما باطلا ، ولكنها أمام الإيمان الصحيح ، والعقائد السديدة نتيجة منطقية للحياة الدنيا ، ومستقر طبعى محتوم .

بهاتين الحياتين يعترف الدين الإلهى ، وأما العلم فمنتهى عرفانه ومجال سلطانه لايعدو هذه الدنيا الفانية ، وهو بعد ذلك لايزال مذ فجر الحياة يحاول إسعاد الناس ، وبعث الطمأنينة فى نفوسهم حتى فشل وعجز ، بل بعث اليأس فى الحياة ، وحول سذاجتها وطهرها جحيما مستعراً وعذاباً أليما !

خبرنى : علام يعتمد هذا العلم الإنسانى وتقوم قوانينه الوضعية ؟ أليست تعتمد فى تجميل الحياة على الصناعة وآثارها ، أو بالأحرى على المال ؟ ثم قل لى : كم من الناس يستطيع أن يوفر لنفسه من المال مايمكنه من مسايرة هذا العيش الصناعى ، والهدوء فى هذه الحياة الدنيا؟ طبعاً ، لا أحد ، أو هم أقلية لاتكون نسبة مئوية ولاألفية ، وأما سائر الناس فى رأى هذه الحياة العلمية ، فهم جد أشقياء بائسين ، على أن هؤلاء الأفذاذ ، الذين أتيحت لهم كثرة مالية لايضمنون السعادة بهذا المال ، بل كثيراً ما يضمنون به الشقوة والهلاك . والسعادة كما نعلم لاتفرض على النفوس فرضاً ، وإنما تفيض منها فيضا ، إذ هى عقيدة ذاتية ،

Marfat.com

ورضا ، وقناعة ، وشعور بالهدوء والاطمئنان . . .

العلم عاجز ، وقوانينه قاصرة ، ولكن هذا الدين السماوى يعرف الحياتين ويكمل كلا بالأخرى ، ويسبغ على النفوس اليسر والطمأنينة ؛ فيطلب إلى الأغنياء زكاة المال للفقراء ، وينادى بالمساواة والعدالة ، ويعِد الفقراء والمجهودين فى الدنيا حياة أخرى أطول أجلا وأنعم حالا تعوض عليهم من هذا الحطام الزائل نعيما مقيما وسعادة خالدة ، فيحيون صابرين رجاء المثوبة ، ويعمرون الحياة آملين راغبين ، ولولا هذا الأمل لضاقت مدة العمر عن توفير السعادة والخير ، واستولى اليأس على النفوس وكان شقاء العالم والانتحار ؛ فالدين السماوى يغمر الأحياء بهذا الروح الذى يرضيهم بهذا العاجل الواقعى ، ويقويهم بالأمل فى ذلك الآجل الكمالى ، وهو بذلك ضرورى للحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى .

ولو حاولت القوانين الوضعية فرض حياة آخرة لكانت هذه الحياة موضع شك وسخرية ، وتعرضت للزوال منذ ولادتها ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان .

(٢) ثم خبرنى كيف يستطيع هذا الدين الوضعى السيطرة على الحياة الروحية ، وفرض الرقابة على ماخفى وظهر ، والمحاسبة على ماتراه عين القانون ولايقع تحت طائلته ؟

يستطيع الإنسان السرقة والقتل وانتهاك الحرمات خفية لايراه

Marfat.com

الشرطى ، وهو بعد ذلك آمن وادع يسلب الناس الأموال والأعمار دون قصاص ، مادام بعيداً عن رقابة أو شهادة . فأى سلطان يردعه عن الآثام والعدوان ؟ لابد إذاً من سلطان روحى غير عادى ، أقوى من هذا السلطان الحسى . . لابد من قانون يحاسب على الظاهر والخفى إن لم يكن عاجلا فآجلا ، حتى يستقر فى النفوس مايزعها عن الشر ويتكون فيها هذا الضمير الدينى الذى هو أسمى المظاهر الخلقية فى الإنسان ؛ ذلك هو الدين الإلهى الذى لايقف عند تربية هذا الوازع النفسى بل يحمل الناس على عمل الخير خفية دون الشر رجاء المثوبة ، وحفظاً لحياء الناس ، وإبقاء على كرامة المعوزين ، وهنا يستريح العالم ويحيا حياة روحية ويعيش الإنسان إنسانا .

(٣) ومسألة أخرى يمتاز بها الدين السماوى هى الخلود ، ولاتزال الشرائع الأرضية بين نقض وإبرام متعاقبين ، ولاتزل بادية النقص ضيقة التأثير والملاءمة للمجتمعات ، ولكن الله سبحانه هو القادر على خلق هذا الدين الخالد ، الصالح للبيئات الزمانية والمكانية جميعا .

وأنت إذا نظرت فى تعاليم الإسلام ، وجدت فيها من رحابة الصدر والملاءمة لفنون الحياة ، مايقنعك بأن هذا الدين الحنيف هو دين الخلود .

(٤) وبعد فماذا وراء الإلحاد والكفران غير الوثنية والحيرة ، وسلب الحياة روحها ، وعبادة الحديد والنار ، والتعلق بالمال وهو صعب المنال ، سريع الزوال ؟ أليس من الخير بعد هذا الانتكاس الدينى

Marfat.com

أن نعود إلى حظيرة الدين آمنين مؤمنين ، سالكين إليه تلك الطريق البسيطة المقنعة التى سلكها أبونا إبراهيم عليه السلام ، لما استعرض مظاهر الكون فبدا له نقصها وزوالها فتركها إلى خالقها وقال :

« إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلذى فَطَرَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ حَنيفاً وَمَا أنا مِنَ الْمُشْرِكينْ » ؟!

Marfat.com

العَوْدة إلى الدِّين

تقضى الشرائع السماوية على أن الدين هو الدولة — أو بمعنى أصح، هو قانون الدولة ؛ أو دستور الحكم فيها ، هكذا يجب أن يكون . ذلك لأن الأديان إنما تخدم فى حقيقتها ومعانيها عالمين ، وتربط بعضهما ببعض برباط وثيق . . فلا انفصام لأحدهما عن الآخر ، فما قبل الموت عالم ، ومابعده عالم آخر ، وهما حياة دنيا ، وحياة أخرى ، والفناء بينهما ، أداة للبقاء أو رمز للانتقال من حال إلى حال . فسبحان مغير الأحوال وقد قال الشاعر الحكيم :

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أو رشاد

ذلك ماتقرره الأديان التى أحكمت الربط بين ماضى الإنسان ، وحاضره ومستقبله فجعلت من ذلك وحدة متشابكة مترابطة ، تتأثر الأخرى بما يعتور الأولى من خلل أو انحلال أو ضعف ، ومعنى هذا أن هذه الأديان الإلهية العظيمة كانت تقضى أو تأمر ، أن يكون الحكم فى هذه الحياة . لها أو بها لأن نتائج مابعد الموت مترتبة على ماقبله فمن يذنب فى الدنيا ، يعاقب فى الأخرى ؛ ومن يصلح فى هذه ، يفلح فى تلك ؛ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

Marfat.com

تلك هى حقائق الأديان ، وحكمتها ومراميها ، وهى بهذا تجعل من نفسها ، أو جعل منها الله صانعها ، وخالقها ، حكما ، ودستوراً .

فإذا نظرنا بهذا المنظار ، إلى الدساتير الوضعية ، التى أنشأتها بعض الدول التى تنتسب إلى ديانة ما ، وجدناها تخالف هذه القاعدة ، أو تختلف عنها اختلافاً واضحاً ، فانجلترا مثلا ، أو فرنسا ، أو هولندا تنتسب إلى المسيحية كدين رسمى للدولة ، ولكن قوانينها ودساتير الحكم فيها ليست مستمدة من الإنجيل ، ولا هى قائمة عليه ، وكذلك الشأن فى بعض البلاد الإسلامية ، فبينما ينص دستورها على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام تجد أن قوانينها مستمدة من بعض القوانين الفرنسية أو الهولندية ، أو غيرها .

أما الإسلام فكما قيل عنه ، أنه دين الدولة فقط ، وليس هو دستورها المحكوم بمقتضاه وعلى أساسه .

ومامعنى هذا إذن ؟

إن الأديان وجدت لتكون عملا يؤدى ، وشرعة تتبع ، لا لتكون رمزاً فقط . فإذا قيل إن دين الدولة شىء ، ودستورها شىء آخر ، فإن هذا تهريج لا معنى له .

ذلك لأن الأديان ربطت بين حياتى الناس ، دنياهم وأخراهم ، فالنعيم أو الشقاء فى الأخرى مترتب على الصلاح أو الفساد فى الأولى . أما هذه القوانين الوضعية ، فقد وجدت لتعالج حال الدنيا فقط ،

Marfat.com

أما الأخرى فإنها عنها بمعزل ، والأديان من صنع الخالق ، وتدبيره ؛ أما القوانين ، فمن وضع المخلوق وتفكيره ؛ ومتى كان عمل الخالق ، يتساوى فى الحكم والصفة مع عمل المخلوق ؟

ولو كان الإنسان يستطيع أن يهتدى بفكره ويسعد بعمله ؛ لما أنزل الله كتبه المقدسة وأرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

والناس متدينون بالفطرة ؛ هكذا خلقهم الله وأنشأهم ، فإذا أرادت الحكومات ، أو الأفراد تحويلهم عما طبعوا عليه ، فإن فى ذلك تباعداً بين المرء وقلبه ، وتفريقاً بين الجسم والنفس ، فترى الجسم منساقاً مع تيار وضعى مادى ، بينما النفس منقادة إلى تيار طبيعى روحى ؛ وهذا ما جعل الحيـــاة فى حالتها الحاضرة جحيما لايطاق ، ومسرحاً للشقاء والفوضى . . والأفكار المتناقضة ، والمبادىء الهدامة .

ولن يستعيد العالم سعادته ، ويستشعر الراحة واللذة ، حتى يسود إلى الدين ، الدين الذى جعله الله قانوناً للحياة ، وتقريراً لما بعدها ، من حياة أخرى ، لاالدين الذى وضعه الإنسان لنفسه ؛ واستمد تعاليمه من شرور طبيعته ، واندفاع أفكاره وتناقضها وإلا فلماذا هذا التفريق بين الطبقات ، والتمييز بين الأجناس والتناحر بين الحكومات وقد خلق الله الناس جميعاً من طينة واحدة ، وسوى بينهم فى الشكل والوضع ،

Marfat.com

والتناسل والنشوء ؛ فلا ميزة بين شخص وآخر إلا بعمل الخير ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

ولقد كان من أثر الاستعمار الغربي ـ لبعض البلاد الإسلامية ـ أن فرق بينها وبين الإسلام ، فتحللت من بعض تعاليمه السمحة وجاءت دساتيرها تعترف بالإسلام كدين رسمي للدولة ؛ ولا تمشي على تعاليمه أو تهتدي بهداه .

فلا القاتل يقتل ، ولا السارق تقطع يده ، ولا الزكاة مدفوعة ولا الخمرة ممنوعة ، ولا البغاء محرم .

ولئن كان لتلك البلاد بعض العذر يوم إن كان الاستعمار الأجنبي جاثماً على صدرها ، متغلغلا بسمومه بين شرايينها . فما هو عذرها الآن بعد أن أخذ شبح الاستعمار يتزايل ؛ وظله يتقلص إلى غير رجعة إن شاء الله تعالى ؟

Marfat.com

المرأة العربيـة فى صدر الاسلام

كان تعلم العلم الدينى فى عهـد النبوة عاماً للـكبار والصغار والذكور والإناث فكان النساء يتدارسن القرآن ، ويروين الأحاديث ، ويحافظن على العبادات ويصلين صفوفاً فى المساجد ، ويستمعن الخطب والمواعظ ويحضرن صلاة العيدين فى المصلى العـام ، ويسافرن لأداء فريضة الحج والعمرة ، بل كن أيضاً يشهدن الحروب ويهيئن للمجاهدين الطعـــام ، ويسقينهم الماء ويغسلن الثياب ويضمدن الجروح ، ويشتركن فى الجهاد أحيـاناً .

نعم إن الشريعة لم توجب على المرأة حضور الجمعـة والجماعة إيجاباً ولم تفرض عليها القتال مع الرجال ، وحمـاية الديار ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وإنما خصت الرجال بذلك كله ، لأن للمرأة من نظامها الفطرى واختصاصها المنزلى ، ما يعوقهـا عن مشاركة الرجال فى كل حين بمثل هذه الأعمال ، ومن أكبر موانعهـا الحمل والولادة وحضانة الأطفـال وإعدادهم رجالا للمستقبل ، وإدارة شئون المنزل .

وأما عملها الإسلامى فى الجهاد فيظهر بمثل ما قامت به فى وقعة أحد بطلة الحروب والوقائع العربية الإسلامية ، الصحابية الجليلة أم عمـارة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية الشهيرة ، وإليكم الحوار الذى دار

Marfat.com

بينها و بين أم سعد بنت سعد بن الربيع ، قالت أم سعد : دخلت على أم عمارة فقلت يا خلة : أخبرينى خبرك ، قالت خرجت أول النهار و أنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى ، فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت من أصابك بهذا قالت ابن قمئة أقماه الله (أذله وأصغره) لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلونى على محمد ، فلانجوت إن نجا . فاعترضت له أنا و مصعب ابن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربنى هذه الضربة ، ولكنى ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان ، وقد أثنى الرسول على شجاعتها فقال : ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالا إلا ورأيتها تقاتل دونى .

شهدت بيعة الرضوان ، ثم شهدت وقعة اليمامة ، فقاتلت حتى قطعت يدها ، وجرحت اثنتى عشرة جراحة ، وكانت فوق ذلك كله محدثة جليلة ، روى عنها ابنها عباد بن تميم ومولاتها ليلى ، وعكرمة والحارث بن كعب وأم سعد ، وحديثها فى كتب السنن الأربعة .

وبمثل ما قامت به أيضاً ، خولة أخت ضرار بن الأزور الكندى التى كانت أشجع نساء العرب فى عصرها ، وكانت تشبه بخالد بن الوليد

Marfat.com

فى حملاته . بل ظنهـا أناس فى بعض وقائعها خالداً ، بل خالد نفسه كان معجبا بفرط شجاعتها ، وما ظهر من خلالها وشمائلها ، ولها أخبار كثيرة فى فتوح الشـام ، وما حدث به ابن هشام وغيره أنه لمـا أسر أخوها ضرار بن الأزور فى وقعة اجنادين ، سار خالد بن الوليد (رضى الله عنه) فى طليعة من جنده لاستنقـاذه ، فبينما هو فى الطريق مر به فارس معتقل رمحه ، لا يبين منه إلا الحدق وهو يقذف بنفسه ، ولا يلوى على ماوراءه فلما نظره خالد قال ليت شعرى من هذا الفارس وأيم الله إنه لفارس ، ثم اتبعه خالد والناس من ورائه ، حتى أدرك جنـد الروم فحمل عليهم وأمعن فى صفوفهم وصاح بين جوانبهم ، حتى زعزع كتائبهم ، وحطم مواكبهم ، فلم تكن غير جولة جائل ، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد قتل رجالا وجنـــداً أبطالا ثم عرض نفسه للموت ثانية فاخترق صفوف القوم غير مكترث وخامر المسلمين من القلق والإشفاق عليـه شىء كثير ، وظنه أناس خالداً . حتى إذا قدم خالد ، قال له رافع بن عميرة من الفارس الذى تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته ؟ فقال خالد : والله لأنا أشد إنكاراً وإعجاباً لما ظهر من خلاله وشمائله ، وبينما القوم فى حديثهم خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب والخيل تعدو فى أثره ، وكلما اقترب أحد منه ألوى عليه ، فأنهل رمحه من صدره حتى قدم على المسلمين فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ورفع لثامه ، وناشده ذلك خالد وهو أمير القوم وقائدهم فلم يحر جوابا ، فلما أكثر خالد أجابه وهو ملثم

Marfat.com

فقال أيها الأمير إنى لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل ، وأنا منَ ذوات الخدور ، وبنات الستور وإنما حملنى على ذلك أنى محترقة الكبد ، زائدة الكمد ، فقال خالد من أنت ؟ قالت : أنا خولة بنت الأزور ، كنت مع نساء من قومى فأتانى آت بأن أخى أسير ، فركبت وفعلت ما رأيت . هنالك صاح خالد فى جنده فحملوا وحملت معهم خولة وعظم على الروم مانزل بهم منها ، فانقلبوا على أعقابهم . كان لوحى الله المعجز سلطان على روح المسلمة ووجدانها ، وكان إيمانها عدتها فى جميع الأمور وعتادها ، فهو يفرغ على قلبها نعمة الصبر والثبات فى جميع المهمات والملمات ، ويعدها بالجزاء الأوفى فى دار الرضوان ، وقد استبان لك الفرق الآن بين حاليها فى صدر الإسلام وما هى عليه فى هذا الزمان .

Marfat.com

الصّلة بين الدّين وَالأدبَ

الأدب مدين للدين بالشيء الكثير ، وهذه حقيقة أحسبها بديهية ليست فى حاجة إلى تقرير ، ولكنها فى حاجة إلى شيء من التوضيح أو التفسير .

ولكى يكون التوضيح منطقياً يحفزنا البحث إلى الرجوع إلى تاريخ الأدب العربى واستقراء الأطوار التى درج فيها ، وإذا لم يتسن ذلك فى هذا المجال الضيق ، فلا أقل من إلمامة عابرة ترسم الخطوط الأولية الرئيسية .

يعلم القراء أن الأدب العربى القديم ، أعنى الأدب الجاهلى لم يعرف أدب الكتابة ، فكان مقصوراً على الشعر والخطابة وسجع الكهان ومن فى حكمهم من فصحاء العرب ، وقدخدم الرواة الشعر فنقلوا إلينا أكثره حتى شاء الله له أن يدون حينما أخذت الكتابة العربيةطريقها إلى التاريخ ولكن النوع الآخر ، أو النثر الفنى فى الخطابة وما إليها ، يستطيع الرواة أن يعوه وعيهم للشعر الذى أعانهم على حفظه ووزنه وموسيقاه ، فلم يكن فى ذلك النثر القليل غناء ، ولم يكن له الأثر الكبير فى توجيه الأدب فى العصور التالية للعصر الجاهلى .

ولما جاء الإسلام استحوذ على أرواح العرب ، فشغلهم الحماس له عن

Marfat.com

كل مظهر من مظاهر النشاط الثانوى ، فكان فى ذلك الخير كل الخير للإسلام ودعوته ، فقد استغرق العرب كل جهودهم لتأييد الدين الجديد فصرفوا أرواحهم إلى مواطنه العميقة ، وظواهره التعبدية ، ثم جردوا القوة البيانية لنشر الدعوة كما صرفوا القوة الحربية لهذا الغرض ، ثم انتشروا فى بلاد الله فاتحين داعين ، فكانت هذه الفترة التى قضوها فى حياة الجهاد والانتقال من بلد إلى بلد لا تعين على استقرار الأدب ، أو المظاهر التمدنية ، لأنها حياة ينقصها الاستقرار نفسه .

لكن هذه الفترة نفسها لم تخل من النوعين المتقدمين من الأدب : فظهر فيها الشعر ، ولكنه لم يكن على درجة من الجودة تضعه فى صف واحد مع الشعر الجاهلى الفحل . وظهر فيها أيضاً النثر الفنى فى خطابة الخلفاء والولاة والقادة ، ووصاياهم للشعب وللجيوش .

وعندما بدأت حياة الاستقرار وتركزت الخلافة فى دمشق وبدأ الخلفاء وكبار الرجال يضعون اللبنات الأولى فى حضارة الإسلام بدأت الصلة تتحكم بين الأدب والدين ، وبدأت تظهر جلية تلك الخدمات القيمة التى قدمها رجال الدين للأدب .

وقبل أن أدلف إلى صميم الموضوع لا أحب أن تغيب حقيقة كبرى ليست فى حاجة إلى مماراة . كما أنها ليست فى حاجة على إبانة أو تدليل . هذه الحقيقة هى أثر القرآن فى الأدب ، فالقرآن هو كتاب الله الذى لم يلحقه ولن يلحقه تغيير أو تبديل . ولذلك كان

Marfat.com

مصدراً دائماً للبيان الذى لايجارى ينهل منه الأدباء والشعراء فلاينضب معينه ، ولا يبلى جديده ، وقد ساهمت تلاوته التعبدية فى تعميق أثره فى الأدب العربى ، إلى جانب تعمقه فى الشعور الدينى .

إن هذه الحقيقة الكبرى ليست فى حاجة إلى إبانة أما الهدف الذى نبتغيه فهو شرح الروابط الأخرى التى ربطت الأدب بالدين .

بعد حياة الاستقرار التى أشرت إليها من قبل بدأت بوادر التدوين وكان الغرض منه دينياً بحتاً ، فشرع علماء الدين فى تسجيل الحديث الشريف وخدمته خشية على ضياعه وتفرغ منه العناية المنقطعة النظير بتتبع حياة رواة الحديث بغية التصحيح أو التجريح ، وامتد ذلك إلى مالا يكتنف حياة الرواة من التعرض لما امتاز به بعضهم من ميزات أدبية . وعن هذا النوع نشأ أدب التراجم فى الأدب العربى وعن الحديث نفسه ، أقصد عن المتن صدرت على توالى العصور العناية بأسرار البلاغة فى القرآن والحديث فهذان النوعان : أدب التراجم والبحث فى البلاغة كانا فرعين من فروع العناية بعلوم الدين .

ثم هناك اللغة ، مادة الأدب فإن مصدر التحقيق اللغوى وتقويم الألسن بالنحو يرجعان إلى الدين نفسه ، فقد عنى التفسير بالتحقيقات اللغوية للألفاظ ، كما أن شرح الحديث أدى إلى نفس هذه النتيجة .

لقد وضعت الأسس الأولى للنحو ، لغرض دينى بحت كما يحدثنا التاريخ فى بعض رواياته فإن خشية اللحن فى القرآن دفعت إلى الغيرة

Marfat.com

عليه ، فاتخذت القواعد الأولى من النحو طريقها نحو الغاية التى تدرجت إليها فيما بعد .

والكتابة الفنية حينما ظهرت كانت تستند بقوة على دعائم التضمين من القرآن والتدليل به ، والاستنباط منه ، واستعمال بعض صيغه ، يهدف الكتاب من وراء ذلك إلى الإقناع وإثارة العاطفة الدينية فيمن يعنيهم الأمر وإلى تحلية نثرهم وإضفاء لون طريف عليه من الإبداع .

ليست هذه كل روابط الأدب بالدين . ولكنها أمثلة من تلك الروابط لعل فى إشارتها أو التذكير بها فى هذه الكلمة باعثاً على تحكيم الصلات بين المسلمين وتوثيق التقارب فيما بينهم ، وهذا التقارب ألوان من التقارب الثقافى ، وهو الدور الذى يجب أن نقوم بتأديته كاملا والتقارب الثقافى أنواع وصنوف ، فيجب أن نضع منهاجاً للتقارب فى الأفكار والآراء الدينية والأدبية . ومن هنا كان حق الأدب أن يجاور الأبحاث الدينية ، ما دام يرمى إلى الأهداف الإسلامية الصحيحة .

Marfat.com

الإسلام دين ثقافة

أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا يخاطب بمعجزته العقول ، ويحاور الألباب « أفَلَا يَنْظُرُونَ إلَى الإبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وإلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وإلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَت وإلَى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » ، « إنْ فى خَلْقِ السَّمواتِ وَالأرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأولى الألباب » ، « وفى أنْفُسكم أفَلَا تُبْصِرُون » ليرشد الناس إلى أن العقل أساس الحياة ، وسر الوجود ، والعلم رائد العقل وهاديه وشمسه التى تضىء له الآفاق المظلمة فيحض القرآن الكريم الناس على العلم ، ويغريهم به فى أسلوبه الساحر الجذاب « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب » ، « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ولعل فى نزول أول سورة منه بالدعوة إلى القراءة والتعلم « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم » أعظم تمجيد للعلم والعلماء ، وتنبيهاً سافراً إلى أن عصر الإسلام هو عصر العلم والثقافة ، ويدفع النبى صلى الله عليه وسلم أتباعه بكلتا يديه إلى محو الجهالة وإزالة الأمية ، ويرسم لهم خطة ذلك الكفاح المجيد عقب أول غزوة غزاها ، فيجعل فداء الأسير الذى يحسن القراءة

Marfat.com

والكتابة ، تعليم عشرة من المسلمين ؛ ويوجه إلى كل قبيلة تعتنق الإسلام معلماً يرشدهم ويهذبهم ويثقفهم ، ثم يوالى حملته المقدسة الناجحة على الجهل ، فيحض الناس على التعلم تارة بالأمر الجازم « أطلبوا العلم ولو بالصين » وتارة بالترغيب والتحبيب « الناس عالم ومتعلم وسائرهم همج »

« إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ، ولمداد ماجرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيل الله » إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة الكثيرة الداعية إلى التعلم .

ويرى النبى صلى الله عليه وسلم أن مهنة التعليم شاقة عسيرة ، ومهمة صعبة معقدة فيغرى بها المتعلمين ويرغبها إلى العلماء بمختلف الأساليب فينصب من نفسه معلماً للناس فى مسجده الشريف ويبين أن التبتل للتعليم أسمى من التبتل للعبادة والذكر فيقول صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » ويخرج ذات يوم مع بعض أصحابه فيرى مجلسين أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه ، وفى الثانى جماعة يعلمون الناس فيقول : « أما هؤلاء فيسألون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلماً » .

وقف الإسلام فى ذلك مع الأنثى موقفه مع الذكر وأخذت المرأة من ذلك التعليم بنصيب موفور فقد كانت تقرأ القرآن ، وتحفظ الحديث وتنشد الأشعار ، وتروى الأخبار وتسير مع الرجال إلى ساحات القتال فتسقى العطاش وتضمد الجرحى . جاء فى صحيح البخارى أن النساء قالوا :

Marfat.com

يارسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك . فجعل لهن يوماً ليعظهن ويعلمهن فيه . قال الإمام أحمد فى مسنده عن الشّفاء بنت عبد الله قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال : ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة ، قال الأثرم قال إبراهيم بهذا حدثت أحمد بن حنبل رضى الله عنه فقال : هذا رخصة فى تعليم النساء الكتابة ؛ والحديث ظاهر فى الحض على تعليم المرأة ماهو فوق الكتابة ، فالرقية طب نفسى ، له منزلته فى علاج الأمراض .

يقول المؤرخ الفرنسى الكبير « ستديو » فى كتابه خلاصة تاريخ العرب : « كان عرب أسبانيا متفوقين على الفرنج فى العلوم والصنائع والأخلاق الكريمة ، مما حبب لملوك قسطيلة أن يقدموا إلى قرطبة لاستشارة أطبائها الذين كانوا معروفين بتضلعهم فى هذه الصناعة . . . والذى ساعد هؤلاء العرب على بلوغ أبعد شأو من العظمة اتساع دائرة العلوم والفنون لديهم ، وانتشار المعارف الفلاحية والصناعية فيهم ، لهذا ذاق جميعهم لذة العلم وتنافسوا فى ابتكار مايمتازون به من الأعمال النافعة » إلى غير ذلك مما ذكره فى عظمة المسلمين العلمية فى أسبانيا وما أفادته أوربا من معارف المسلمين تلك ، ولم تكن حال المسلمين بالمشرق بأقل من حالهم بالأندلس فقد اطردت النهضة العلمية فى البلاد الإسلامية اطراداً وتوفيقاً ونجاحاً حتى جددوا عهد العظمة الإسلامية والنهضة المحمدية المباركة .

Marfat.com

قال الله تعالى فى كتابه الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أكرمكم عند الله أتقاكم

إن الله عليم خبير

صدق الله العظيم

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

قرر الإسلام أن الناس كلهم بنو أب واحد وأم واحدة ، فهم إخوة أشقاء يجرى فى عروقهم جميعاً دم الأخوة الإنسانية عربهم وعجمهم ، أسودهم وأحمرهم والأصفر والأبيض ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح والتقوى والنفع العام للمجتمع البشرى ، فحطم بذلك أغلالا من الباطل غلت بها أيدى الإنسانية المظلومة عن التعاون الخيرى المؤسس على العدل والإنصاف فقد قسمت الأغراض الظالمة الناس قسمة ضيزى لا سند لها من عقل ولا فطرة ولا واقع ، وميزوا بعضها بالوهم والغشم وجعلوها أجناساً من حيوانات شتى وفرقوا بينها بفوارق الأنانية والأثرة والتعالى الكاذب وظلم الإنسان لأخيه الإنسان . خذ مثلا وثنية الهندوس التى قسمت الناس أقساماً أربعة أعلاها البراهمة وأدناها شودر ينفصل بعضها عن بعض فى كل شىء من مرافق الحياة فى الطعام والشراب والاختلاط والاتصال والزواج فليس لواحد منها

Marfat.com

أن يتطلع إلى غير طبقته أو يرفع بصره عنها حتى لقد اعتقدت كل طبقة بنجاسة من دونها ، فالشودر مثلا عليه أن يخلى الطريق لمن فوقه كالبرهمى ولا يصح له بحال من الأحوال أن يمسه ولا أن يتعبد معه فى معبد . دعى الحكيم أجمل خان زعيم الهند السياسى ورأس أطبائها لمعاينة مرض أحد الرجوات الهندوس وعندما جس نبضه دعا الراجا بماء لغسل يده مما مست يد الحكيم أجمل خان ، فدعا أجمل خان خادمه ـ مقابل للعمل بمثله ـ فغسل يده وانصرف عن الراجا بازدراء حتى دهش الراجا وانبهر. هكذا يعامل الإنسان أخاه الإنسان كمعاملة متفيهق موسوس لكلب أو خنزير وقد سرى هذا العنت والظلم إلى وثنيات أخرى فترى مثل هذا أو شبيهاً به لدى جاهلية الفراعنة والأكاسرة والأباطرة حتى عرب الجاهلية الذين صهرتهم خشونة الصحراء وساوى بينهم شظف العيش لم يسلموا من هذه النعرة الجنسية والتفاخر بالأحساب والاعتزاز بشرف الأنساب حتى جاء الإسلام بهذا الانقلاب والإصلاح وبالثورة على هذا الظلم الصارخ فدك تلك الحواجز الوهمية وأبطل تلك الفروق الجاهلية فنادى فى صريح كتابه وعلى لسان رسوله أن الناس كلهم بنو آدم ، ففى القرآن مالا يعد كثرة من قوله تعالى (يابنى آدم) وقوله (يا أيها الناس) وهذه الآية فى صدر المقال تنادى بصريح العبارة إن الناس خلقوا من ذكر وأنثى فهم أشقاء الأبوة الآدمية والأمومة الحوائية ، وإنما جعلهم الله شعوباً وقبائل للتعارف بالانتساب لا للتفاخر بالأنساب ولا للتباهى

Marfat.com

بالأحساب وختمها بالقول الفصل (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . وجاء فى السنة النبوية ما هو ضياء ونور وشرح لكتاب الله تعالى . فعن حذيفة بن اليمان قال من تراب رسول الله ﷺ «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب لينهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان أو الجعل» ويقول العامة : الجعلان دويبة خسيسة تندس فى الأقذار وتتغذى بها . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : «يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ـ أى كبرها ـ وتعظمها بآبائها . فالناس رجلان : رجل بر تقى كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقى على الله تعالى . إن الله عز وجل يقول : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا : إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» ثم قال ﷺ «أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم» . نقله الحافظ بن كثير عند تفسير هذه الآية من تفسير ابن أبى حاتم وعبيد بن حميد ، قال : وروى الإمام أحمد فى مسنده بسنده إلى عقبة بن عامر قال : إن رسول الله ﷺ قال : «إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد . كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملؤه . . ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيئاً بخيلا فاحشاً» ، قال ورواه ابن جرير ولفظه «الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملؤه» . إن الله لا يسألكم عن

Marfat.com

أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».
قال الجزرى فى النهاية قوله «كلكم بنو آدم طف الصاع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى» أى قريب بعضكم من بعض .

كلكم فى الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة فى النقص والتقاصر عن غاية التمام شبههم فى نقصانهم بالمكيل الذى لم يبلغ أن يملأ المكيال ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى . وروى الإمام أحمد عن درة بنت أبى لهب قالت : قام رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال : يا رسول الله أى الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم : «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله عز وجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم» وفى حديث حبيب ابن خراش القصيرى أن رسول الله ﷺ يقول : «المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى» رواه الطبرانى . وفى حديث أبى هريرة عن مسلم قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» . وروى الإمام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : «أنظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إن تفضله بتقوى» ـ هذا ـ ولو لم تكن تلك الرذيلة إلا أنها من اختراع رأس كل شر ، وينبوع كل ضلال أعنى ابليس لعنه الله إذ يقول : «أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين» ، «أأسجد لمن خلقت طيناً» لكفى

Marfat.com

بها رذيلة وحسبك بها مقتاً وحقارة وعاراً . وقد جاءت سنة النبى ﷺ العملية تطبيقاً لهذا الإصلاح وتنظيما لهذا المبدأ وجرياً على هذا المنوال الحكيم فقداشمأزت عصبية قريش وعيبتها من التفاف الموالى من السابقين الأولين حول النبى ﷺ كبلال وخباب وصهيب فطلبوا منه أن يطردهم عنه ليجالسوه بنعرتهم الحسبية وتعظمهم بالنسب والجاه والمال ، ومال النبى ﷺ إلى شىء من ذلك حرصاً على هدايتهم وطمعاً فى جلبهم إلى الخير فأنزل الله تعالى « ولا تطردون الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » .

وقوله : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، وقال للذى لم تظل الخضراء ولم تقل الغبراء أصدق لهجة منه أزهد الناس فى الدنيا وحطامها الفانى أبى ذر الغفارى عندما عير أحد الموالى بأمه فقال له يا ابن السوداء فقال النبى ﷺ فى غير محاباة ولا مداورة « أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية » فقال أبو ذر : على كبر سنى يارسول الله !! فكان أبو ذر بعد ذلك يقسم قطعتى الحلة بينه وبين مولاه فيلبس شقها ويلبس مولاه شقها الآخر وهو الذى روى الحديث

Marfat.com

« إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ». وزوج عبدالرحمن بن عوف الزهرى أحد سراة الصحابة أخته لبال بن رباح الحبشى المولى رواه الدارقطنى وبنو زهرة هم بنو زهرة من عليا قريش وأصهار بنى هاشم وأخوال النبى ﷺ وزوج رسول الله ﷺ بنت عمته زينب بنت جحش الأسدية القرشية مولاه زيد بن حارثة الكلبى وزوج فاطمة بنت قيس بنت عم عبد الله بن أم كلثوم وهى قرشية وخطبها معاوية بن أبى سفيان فأشار عليها النبى ﷺ بمولاه وحبه أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى فتزوجته واغتبطت به وقالت : جعل الله لى فى ابن زيد خيراً كثيراً . وزوّج النبى ﷺ بنتيه رقية وأم كلثوم الواحدة تلو الأخرى من عثمان بن عفان الأموى العبشمى ، وزوّج ابنته زينب من أبى العاص العبشمى ، وزوّج على بن أبى طالب بنته أم كلثوم الفاطمية الهاشمية من عمر بن الخطاب العدوى ؛ وقال النبى ﷺ لبنى بياضة من الأنصار وهم من خالص العرب : « أنكحوا أبا طيبة وهو مولى لهم حجام » . وزوّج أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس القرشى سالماً مولى امرأة من الأنصار زوجة بنت أخيه الوليد بن عتبة بن ربيعة وتبناه .

وروى الترمذى وحسنه عن أبى حاتم المزنى عن النبى ﷺ أنه قال: « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» . قالوا يارسول الله وإن كان فقيراً ؟ قال : « إذا

Marfat.com

جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ثلاث مرات » وقد رأينا ذلك الفساد الكبير وتلك الفتنة التى أشار إليها ﷺ فيمن انحرف عن هذه السنة القويمة ، وأحيا النعرة الجاهلية وأنبت جذور الشجرة التى اجتثها الإسلام فأعنس العواتق وعجز الفتيات اللاتى أعدتهم الفطرة أن يكن سيدات بيوت وأمهات رجال المستقبل وشقائق الرجال فأفسد تلك الفطرة القويمة واعوج الصراط السوى .

استقام المسلمون أولا على صراط الإسلام حقاً ظاهراً وباطناً فاستقام لهم عز الدنيا والآخرة وملكوا مقاليد العالم ولما غيروا وبدلوا غير الله عليهم وصرف نعمته عنهم مما نجنى ثماره المرة اليوم بل ما نحصد إلا بشوك وقتاد والدين هو الدين فى جوهره ولبه ومعناه ومبناه ولو عدنا إليه حقاً لعادت إلينا سيادة الناس وقيادة العالم وعز الدنيا وسعادة الآخرة ولقد قال الله تعالى، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ » .

وقال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها يعنى بالدين. ولنا رجاء نرجوه فى رحمة الله أن يستدير الزمان ويعود للمسلمين عزهم بالتمسك بدينهم . وما ذلك على الله بعزيز .

Marfat.com

النهى عن الغلوّ فى الدين

خشى الله على المؤمن أن يغلو فى طلب الآخرة فيهلك دنياه وينسى نفسه منها ، فذكرنا بماقصه علينا أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينا إذ قال (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) . سورة القصص .

فترى أن الإسلام لم يبخس الحواس حقها . كما أنه هيأ الروح لبلوغ كالها . فهو الذى جمع للإنسان أجزاء حقيقته واعتبره حيواناً ناطقاً لا جسمانياً صرفاً ولا ملكوتياً بحتاً . جعله من أهل الدنيا كما هو من أهل الآخرة . واستبقاه من أهل هذا العالم الجسدانى كما دعاه إلى أن يطلب مقامه الروحانى أليس يكون بذلك وبما بينه فى قوله (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) قد أطلق القيد عن قواه . ليصل من رفه الحياة (مع القصد) إلى منتهاه ؟ والنفوس مطبوعة على التنافس ، قد غرز فيها حب التسابق فيما تعتقده خيراً أو تجده لذيذاً أو تظنه نافعاً .

وليس فى الغريزة الإنسانية أن يقف بها الطلب عند حد محدود أو ينتهى بها السعى إلى غاية لا مطلع للرغبة وراءها . بل خصها الله بالمكنة من الرقى فى أطوار الكمال من جميع وجوهه إلى ماشاء الله أن ترقى بدون حد معروف .

Marfat.com

الدعوة إلى الدين

قام رسول الله ﷺ إذعاناً لأمر الله تعالى ودعا لعبادته جل شأنه أقواماً جفاة لادين لهم ، إلا أن يسجدوا لأصنام لا تنفع ولا تضر ، ولا حجة لهم إلا أنهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم ، وليس عندهم من مكارم الأخلاق إلا ما كان مرتبطاً بالعزة والأنفة ، وهو الذى كثيراً ما كان سبباً فى الغارات والحروب وإهراق الدماء ، فجاءهم رسول الله ﷺ بما لايعرفونه . فذوو العقول السليمة بادروا إلى التصديق وخلع الأوثان ، ومن أعمته الرياسة أدبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته . وكان أول من سطع عليه نور الإسلام خديجة بنت خويلد زوجه ، وعلى بن أبى طالب ابن عمه ، وكان مقيما عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره ، لأن قريشاً كانوا قد أصابتهم مجاعة ، وكان أبو طالب مقلا كثير الأولاد ، فقال عليه السلام لعمه العباس بن عبد المطلب : إن أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا إليه لنخفف من عياله ، تأخذ واحداً وأنا واحداً ، فانطلقا وعرضا عليه الأمر ، فأخذ العباس جعفر بن أبى طالب وأخذ عليه السلام علياً فكان فى كفالته كأحد أولاده إلى أن جاءت النبوة وقد ناهز الاحتلام ، فكان تابعاً للنبى فى كل أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الأوثان واتباع

Marfat.com

الهوى ، وأجاب أيضاً كثيرون منهم زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى مولاه عليه السلام ، وأم أيمن حاضنته التى زوجها لمولاه زيد ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو ذر الغفارى وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ، وعثمان بن عفان ، وسعد ابن أبى وقاص وكثيرون غيره .

وهكذا دخل هؤلاء الأشراف فى دين الإسلام ولم يكن مع الرسول ﷺ سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين . وليس ذلك إلا من هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتى أدركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه الرسول من الهدى .

مضت مدة لم يكن المسلمون يتمكنون فيها من إظهار دعوتهم حذراً من تعصب قريش ، فكان كل من أراد العبادة ذهب إلى شعاب مكة يصلى فيها مستخفياً . ولما دخل فى الدين مايربو على الثلاثين ، وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم ، اختار لذلك دار الأرقم ابن أبى الأرقم — وكان قد أسلم مع من أسلموا — ومكث عليه السلام يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » فبدل الدعوة سراً بالدعوة جهراً ، ممتثلا أمر ربه ، واثقاً بوعده ونصره ، فصعد على الصفا فجعل ينادى : يابنى فهر ! يابنى عدى ! لبطون قريش ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر ، فجاء أبولهب بن عبد المطلب وقريشا فقال عليه السلام :

Marfat.com

أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقىّ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا . قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ ! فأنزل الله فى شأنه : « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ، ما أغنى عنه ماله وما كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » . والقصد من حمل الحطب المشى بالنميمة لأنها كانت تقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكاذيب فى نوادى النساء ، ثم نزل عليه فى سورة الشعراء : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينْ » ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ عَصَوْكَ » أى العشيرة والأقربون « فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونْ » فجمعهم عليه السلام وقال لهم : إن الرائد لا يكذب الله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءاً ، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً ، فتكلم القوم كلاما ليناً غير عمه أبى لهب الذى كان خصما لدوداً فإنه قال : خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب فإن سلمتوه إذن ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم . فقال أبو طالب : والله لنمنعه ما بقينا ثم انصرف الجمع .

ولما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة سخرت منه قريش واستهزأو

Marfat.com

به فى مجالسهم ، فكان إذا مرّ عليهم يقولون : هذا ابن أبى كبشة يكلم من السماء ! وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يزيدون على ذلك فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم : والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم إبراهيم . ثارت فى رؤوسهم حمية الجاهلية غيرة على تلك الآلهة التى كان يعبدها آباؤهم فذهبوا إلى عمه أبى طالب سيد بنى هاشم الذى أخذ على نفسه حمايته من أيدى أعدائه ، فطلبوا منه أن يخلى بينهم وبينه أو يكفه عما يقول ، فردهم رداً جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله لما يريده ، لا يصده عن مراده شىء ، فتزايد الأمر وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله ﷺ وحث بعضهم بعضا على ذلك ، ثم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى وقالوا له : إن لك سناً وشرفا ومنزلة منا وإنا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا . فإنهم كانوا إذا احتجوا بالتقليد فى استمرارهم على عدم اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قال تعالى فى سورة البقرة « وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَ لَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ » ، وقال فى سورة المائدة « وإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلَى ما أَنْزَلَ اللهُ وإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آباءَنا أَوْ لَوْ كَانَ آباؤُهُمْ

Marfat.com

لَايَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَايَهْتَدُونَ » . وأخيراً بعد يأسهم قالوا لأبى طالب : إما أن تكفه أو ننازله ، وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم انصرفوا فعظم على أبى طالب فراق قومه ، ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه ، فقال له : يا ابن أخى ، إن القوم جاءونى فقالوا لى كذا و كذا فأبق على نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق ، فظن الرسول أن عمه خاذله فقال : والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر مافعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه . ثم بكى وولى ، فقال أبو طالب : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه فقال : اذهب فقل ما أحببت والله لا أسلمك .

Marfat.com

حاجة الناسِ إلى الدّين

كان الناس ولايزالون أمة واحدة مشتبكين فى مصالحهم مترابطين فى حاجاتهم لايستطيع الواحد منهم أن يعيش كما يعيش بعض الوحوش والحيوانات ، تجدهم بفطرتهم مدفوعين إلى البحث عن وسائل حياتهم وطرق معايشهم ، يدفعون عن أنفسهم مايعتقدون ضره ويجلبون لها مايرون نفعه وقد يخطئون فى تحديد النافع والضار ، فقد يكون الشىء نافعاً عند قوم ضاراً فى نظر الآخرين فإذا تركوا وشأنهم فلا بد وأن يختلفوا . كان الناس أمة واحدة فاختلفوا والخلاف شر كله على الإنسان وحاجز بينه وبين عمارة الأرض التى خلق لها ، ولايمكن أن يرجع فى تحديد المصالح إلى قوانين من وضع البشر لأنها وليدة الجماعات والبيئات وهى قد تفسد إلى حد كبير ، فترى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً ، وما عهدنا بوأد البنات مخافة العار وقتل الأولاد خشية الفقر ببعيد ولايستطيع العقل البشرى أن يحدد للناس مصالحهم لأن للبيئة سلطاناً عليه فتؤثر فى أحكامه ، وهل يشك أحد فى أن الفوضى المروعة التى توجد فى نظم العالم الاجتماعية والمبادىء الهدامة الغاشمة التى لاتحترم عرضاً ولاتعرف نسباً وليدة عقول لم يسعد بها الإنسان ، بل أضاف بها شقاء إلى شقائه وكثيراً مايختلف العقلاء فيحسن قوم ماقبحه آخرون ،

Marfat.com

إذاً ماهو القياس الذى نتعرف به العقل المصيب والعقل المخطىء ؟ هو بلاشك (الدين) .

فكان من رحمة الله بالإنسان أن يكون التشريع الذى يرجع إليه فى تحديد علاقات البشر بعضهم ببعض من ناحية معصومة عن الخطا بعيدة عن الاضطراب و أن يكون من وحى السماء لا من وضع الأرض، من أجل ذلك بعث الله الرسل ليرسموا للناس طريقاً يعيشون على أساسه ويعرفونهم الفضائل ويدعونهم إليها ويبينون لهم الرذائل وينفرونهم منها ، يعلمونهم أن لهم رباً يرجى ثوابه ويخشى عقابه ، لم يخلق الناس عبثاً ولم يتركهم سدى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون » يحلون لهم ماتطيب به نفوسهم وتتهذب به أخلاقهم وتصح به أجسامهم ويحرمون عليهم مايلوث فطرهم ويفسد عقولهم ويمرض أجسامهم ، يأمرونهم بما تعرفه الطباع من الفضائل ويبتعدون بهم عما تنكره من الدنايا والإسفاف .

فالتدين حاجة من حاجات البشر بل ضرورة من ضروراتهم لايسعد لهم الحال إلا بإشراب نفوسهم حب الدين واطمئنان قلوبهم إليه واقتناعهم بأنه سعادة لهم فى دنياهم وذخر لهم فى آخرتهم ، ولو أنك وازنت بين رجل له دين وآخر لادين له لرأيت الفرق بين الرجلين عظيما : فالرجل الذى له دين يسعد بدينه ويسعد أمته ، والرجل الذى لادين له يشقى نفسه ويشقى أمته .

Marfat.com

قد يظن بعض الناس أن ماتصنعه الحكومات من قوانين للعقوبات كفيلة بسعادة المجتمع مانعة له من الفساد ، وفاته أن الرجل الذى شب على الإجرام إنما يخشى القانون حيث تتوفر الدواعى على إدانته ، أما رجل الدين فإن دينه حائل بينه وبين الجريمة لإيمانه إن ربه مطلع عليه وإن لم يطلع عليه المخلوق فدينه حارس لايفارقه رقيب لايبتعد منه لأنه بين جنبيه ، قال الله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها لايبغون عنها حولا » .

وهناك فرق كبير بين رجل له من نفسه حارس أمين لا يفتر عنه ولايغفل وبين رجل آخر يستطيع أن يتغفل حارسه ليصل إلى مايريد من شهوة ومايتوق إليه من فساد قال تعالى : « مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

Marfat.com

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

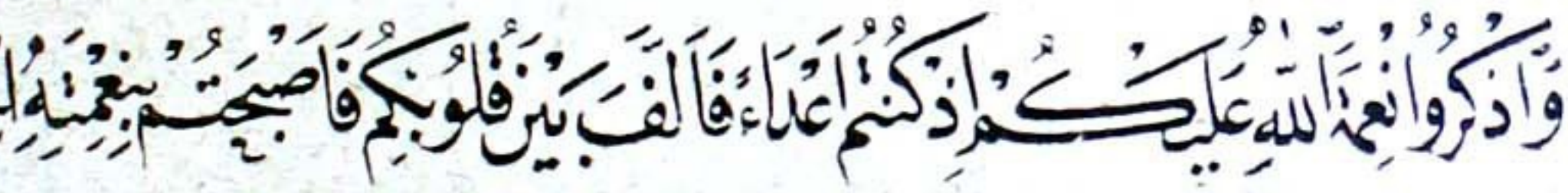
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا

أمر الله عباده المؤمنين فى هذه الآية الكريمة بالاعتصام بحبله المتين وهو التمسك بكتابه العزيز ونهاهم عن التفرق فى الأعمال الشرعية الظاهرة والاعتقادات الصحيحة الباطنة تفرقاً لا تحمد له عاقبة ولا تكون له ثمرة صالحة.

وقد أرشدهم إلى ما يكفل لهم السعادة وينالون به أعلى مراتب العز والشرف والسيادة وهو إقامة الدين الذى شرعه لعباده وارتضاه على لسان رسوله وأمرهم بالاعتصام به والأخذ بما دل عليه من أمر ونهى وقبول ذلك بالرضى والتسليم. فبذلك يكونون معتصمين بحبل الله، آخذين بأقوى الأسباب التى تقربهم إلى ربهم.

وقد شرع الله لعباده من فرائض الدين ما يكون سبباً للتعارف بينهم واجتماع الكلمة والاتفاق فى الأعمال والأقوال التى شرعها وأمر عباده بالتزامها ورضيها لهم كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وحج البيت

Marfat.com

الذى أوجبه على كل مكلف مستطيع كما قال تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ قال بعض المفسرين : إن الله جعل ومن كفر موضع ومن لم يحج ففيه نهى شديد وزجر بليغ لمن ترك المسير إلى الحج بعد توفر أسبابه ، ولهذا رغب النبى عليه السلام فى الحج والمبادرة إليه بقوله : « بادروا بالحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة » . فإذا كان الحج والعمرة ينفيان فقر من حج واعتمر ويذهبان بذنوبه فلا ينبغى للعبد أن يستكثر ما يبذله فيهما من النفقة ويستصعب مشاق السفر . وقال عليه السلام : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » وقد بين عليه السلام بر الحج بقوله : « من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فهذه الأخبار الصحيحة وما ورد فى معناها دالة على فضل حج بيت الله الحرام والصبر على ما ينال العبد فيه من المشاق وبذل النفقات الكثيرة طلباً لمرضاة الله واحتساباً للثواب . وكل ذلك من أجل إقامة الدين واجتماع كلمة أهل الإيمان بالله الواردين إلى بيته من مشارق الأرض ومغاربها . وفى ذلك عز لسلطانهم وعظمة لشأنهم فيخشاهم المعاند لهم والمخالف لدينهم الذى هو أقوى منهم عدة وأكثر عدداً ، وتكون كلمتهم فوق كل كلمة وشأنهم أعلى من كل شأن لأنهم نصروا الله وأعزوا دينه فنصرهم تحقيقاً لوعده الصادق بقوله ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ لأن اجتماع القلوب

Marfat.com

على طاعة الله يثمر العز الدائم والسعادة الأبدية ، فلا بد من أن يكون الاجتماع مرضياً لله ورسوله ، جارياً على الأصول الإسلامية والقواعد المعتبرة ، لأن كل اتفاق يخالف شرع الله لا ينال به العز والفلاح لأنه منهى عنه وما نهى الشارع عنه لا خير فيه ، وقد قضت سنة الله أن المسلمين لا يتم لهم أمر يريدونه ولا تستقيم لهم حال يقصدونها إلا بامتثال أوامر الله والعمل بشريعة نبيهم .

وهذا المعنى عام شامل للفرد والجماعة فمن استهان بشرع الله خذله الله أينما توجه وفى أى مكان وجد .

وإن للمتأمل لعبرة فى ماضى الإسلام وما كان عليه المسلمون من العز وقهر الأعداء لما كانوا معتصمين بكتاب الله مجتمعين على طاعة الله يحذرون كل الحذر من تفريق الكلمة وشق العصا ، وقد كان النبى عليه السلام يغضب عندما يسمع قولا يؤول إلى التفريق بين المؤمنين كما جاء فى الحديث : أن أنصارياً ومهاجرياً تشاجرا فقال الأنصارى يا للأنصار وقال المهاجرى يا للمهاجرين ، فقال النبى أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم . فهذا كان هدى النبى وهذه سيرته وحرصه على اتفاق أمته وجمع كلمتهم حتى قال : ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا بلى يارسول الله . قال : المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة . وقال الله تعالى ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ .

Marfat.com

الدين جامع بين مصالح الدنيا والآخرة

(الصحة) الحياة فى الإسلام مقدمة على الدين . أوامر الحنيفية السمحة إن كانت تختطف العبد إلى ربه . وتملأ قلبه من رهبه ، وتفعم أمله من رغبه ، فهى مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه فى ترك اللذات ما فوق العادة .

صاحب هذا الدين ﷺ لم يقل « بع ما تملك واتبعنى » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » .

(الرخص) فرض الصوم على المؤمنين لكن إذا خشى منه المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه ، بل قد يجب إذا غلب على الظن الضرر فيه .

الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة إلا إذا خشى منه الضرر أو عرضت مشقة فى تحصيل الماء .

القيام مما لا تصح الصلاة إلا به إلا إذا أصابت المصلى مشقة فيه فيسقط ، ويصلى قاعداً .

السعى إلى الجمعة : واجب إلا إذا كان وحل غزير أو مطر كثير أو ما يوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة قد عمت « صحة

Marfat.com

الأبدان ، مقدمة على صحة الأديان ، فنرى الدين قد راعى فى أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح .

(الزينة والطيبات) أباح الإسلام لأهله التجمل بأنواع الزينة والتوسع فى التمتع بالمشتهيات ، على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدود الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجولية جاء فى الكتاب العزيز (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)

(سورة الأعراف)

ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التى يذكرنا بها فضله وتهيج بها نفوسنا لذكره وشكره . كما قال (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) وقال : (وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ

Marfat.com

فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) . سورة النحل .

الاقتصاد :

ووضع قانوناً للإنفاق وحفظ المال فى قوله (إنَّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) سورة الإسراء

* * *

فإذا جمع سائق الأنفس ومزجيها ومرشدها وهاديها ، بين شاحذين : شاحذ التمتع بمتاع الحياة الدنيا . وشاحذ الرغبة فى النعيم الدائم فى الآخرة . فقد جمع لها كل ما يسمو بها عن الرضا فى الدنيا بالدون وفى الآخرة بعذاب الهون ، فترى كل نفس تمضى مع استعدادها بشهامة فؤادها مضاء الزميع [1] ، لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطلبها قعدة الرعديد ، فتطلب منافعها من هذا الكون الذى وجدت فيه ووجد لها . فتسير فى مناكب الأرض ولا تكتفى عن الكل بالبعض . وتبحث فى تربتها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ، ولا يحجبها ظهرها عن مد يدها إلى ما فى جوفها ، ولا تجد ما يصدها عن النظر فى الهواء ، والبحث فى الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها وحركاتها فى مداراتها ، واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخنوسها ، وبالجملة فكل

---

(١) هو الحازم القوى العزيمة ، يزمع على الأمر فيمضى فيه ولا ينثنى . والجيد الرأى : المقدام .

Marfat.com

مستعد لوجه من وجوه النظر أو الولوج فى باب من أبواب العلم ، ينطلق إلى حيث يبلغ به استعداده ، إما للنجاة من ضرورة ، وإما لاستتمام منفعة أو استكمال لذة ، لا يجد من نواهى الدين مايصده عن مطلب ، ولا ما يكف يده عن تناول رغيبة ، أين هذا من ذلك الذى لا يرى الخلاص إلا فى مجافاة هذا العالم ولذائذه ، ويجد أن الغنى والثروة من الحجب التى لا تخرق ، تحول بينه وبين ملكوت السموات ؟

كيف يتسنى للمسلم أن يشكر الله حق شكره ، إذا لم يضع العالم بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من مظاهره إلى سره ويقف على قوانينه وشرائعه ويستخدم كل مايصلح لخدمته فى توفير منافعه ؟ كيف يشكر الله إذا توانى فى ذلك وقد أرشده الله فى كتابه وبسنة نبيه إلى أن عالمه إنما خلق لأجله وقد وضعه الله تحت تصرف عقله ، أنظر إلى لطف الإشارة فى الآية المتقدمة « قل من حرم زينة الله » الخ حيث قال : (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونْ) فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به معيشتهم ، ويجمل به هيئتهم ، ويجلى به زينتهم .

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم إلى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد ، ولا يرضيهم من ذلك ما دون الغاية ، ولا يتوفر شىء من وسائل ذلك إلا بالعلم ، فهم محفوزون أشد الحفز إلى طلب العلم وتلمسه فى كل مكان ، وتلقيه من أية شفة وأى لسان ، فإذا لاقاهم العالم فى أى سبيل أو عثروا به فى أى جيل ، أو ظهر لهم من

Marfat.com

أى قبيل ، هشوا له وبشوا ونصبوا إليه وكمشوا ، وشادوا به أواصرهم ، وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يبالون ما تكون عقيدته ، إذا نفعتهم حكمته ، الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » ألم يأتهم عن ربهم : (يؤتى الحكمة من يشاءُ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب) ألم يسمعوا فى وصفهم قوله : (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) .

ذلك شأن المسلم مع العلم إذا كان مسلماً حقاً ، وذلك ما تنجر إليه طبيعة دينه ، وحديث « أطلبوا العلم ولو بالصين » إن كان فى سند لفظه إلى النبى ﷺ مقال فسند معناه متواتر ، فإنه سند القرآن نفسه فإن الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص . فالمسلم مطالب بطلب العلم ولو فى الصين ولم يكن فى الصين مسلم على عهد النبى ﷺ .

لا شىء ينقلب عند النفس الإنسانية لذة بنفسه ، وإن كان فى أول أمره مطلوباً لغيره ، مثل العلم ، تطلب العلم أولا لحاجتك إليه فى تقويم معيشة ، أو ترقية حال ، أو دفاع عن نفس وملة ، ثم لا تلبث إذا أوغلت فيه أن تجد اللذة فى العلم نفسه ، فتصير اللذة بتحصيله والوصول إلى دقائقه غاية تقصد بنفسها وتضمحل فيها كل غاية سواها ، وعلة ذلك ظاهرة ، فإن العلم مسرح نظر العقل ، والعقل قوة من أفضل القوى الإنسانية ، بل هى أفضلها على الحقيقة ، وقد وضع لها العليم الحكيم لذة ، كما منح لكل قوة سواها نعيما ولذة ، ولست فى حاجة إلى تعديد لذة

Marfat.com

(4198)
ف - 124

الدين والشهادة

محمد حمد

وما يجب على المسلمين معرفته عن :

الدين — التوحيد — المحمديات

مع عرض لآراء كبار رجال الدين والأدب
بمصر والحجاز قديما وحديثا

وضع واختيار

الحاج عباس كراره

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ريالين سعودي بمكة
١٥ قرش بمصر

يطلب من المكاتب الشهيرة بمصر ومكة والمدينة وغيرها الموضحة بآخر الكتاب

Marfat.com